المجلد ٣٩ - العدد ٣

محرم وصفر ١٤٤٧هـ، تموز - يوليو / ٢٠٢٦

لا إِلٰهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

ISSN 1352 - 9463

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

يوليو 2026 | المجلد 39 | العدد 3

محرم وصفر 1448 هـ /تموز - يوليو 2026

2 | **كلمة التقوى**
ذَاكِرَةُ الزَّمَانِ، حِينَ يَنْسِجُ التَّارِيخُ هُوِيَّةَ الإِنْسَان

4 | **في رحاب القرآن**
نقض الفهم الحرفي للنص القرآني

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
من مناقب الصحابة الخلفاء الراشدين (رضي الله تعالى عنهم أجمعين)

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
إن الصحابة كلهم كذكاء

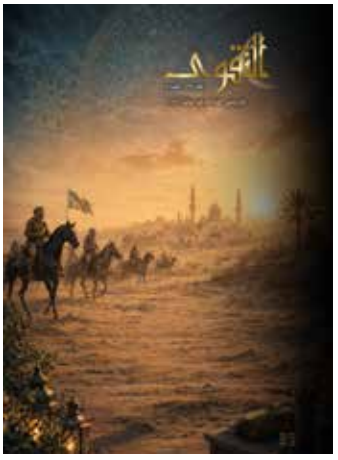

ثمة ضرورة ماسة إلى دراسة تاريخ الأمم، فالتاريخ سجل حافظ لهوية الأمم والشعوب، وإهماله كفقدان الذاكرة. وتاريخ الإسلام حافل بسير مشرفة، على رأسها سير الصحابة الكرام، فهم أُسد ميادين النهار ورهبان الليالي ونجوم الدين الحرية بالاقتداء.

10 | **جوانب من تشريعات الإسلام على هامش سير بعض الصحابة الكرام** خطبة الجمعة ١٢ / ١ / ٢٠٢٣

20 | **الإسلام دين الأنبياء جميعا**
حلمي مرمر

26 | **المرأة.. من خيط المغزل إلى بناء الوعي**
ضحى أحمد

29 | **مرآة حب الرسول ﷺ**
الداعية داود أحمد عابد

30 | **أطفالنا قليلو الانتباه ومفرطو النشاط**
د. ثمر حفيظ

35 | **التسامح أساس قيام المجتمعات**
مريم شرف الدين

ذَاكِرَةُ الزَّمَانِ، حِينَ يَنْسِجُ التَّارِيخُ هُوِيَّةَ الإِنْسَان

في هذا العدد الجديد من مجلتنا، نطل من نافذة على واحدٍ من أعقد المفاهيم التي تشكل الوجدان البشري والحضاري على حد سواء.. مفهوم الذاكرة، الذي يتجاوز مجرد كونه وظيفة بيولوجية نختزن بها المعلومات ونسترجعها كلما دعت الحاجة، بل هو الجسر الذي يربط الشتات الإنساني، والروح التي تنفخ في الحجر والمواقف، فتكسبها معنى البقاء. فبدون الذاكرة، يتحول الفرد إلى جزيرة معزولة عن ذاته، وتتحول الأمم إلى ركام من النسيان لا رابط يجمعها ولا مستقبل ينتظرها.

فيا لها من مأساة صامتة، حين يبدأ عقل المرء شيئا فشيئا يفقد بوصلته! فإذا علمنا أن الهوية الإنسانية ليست سوى تراكم لخبرات ومشاعر ومعارف، فإذا ما تسلل لص النسيان ليعبث بهذا السجل الضخم لدى الإنسان فإنه لا يفقد ماضيه فحسب، بل يفقد كذلك حاضره ومستقبله، فإننا سرعان ما سندرك ببساطة ما يقاسيه ضحايا مرض «ألزهايمر» اللعين. والعلم في هذا العصر يبذل جهودًا حثيثةً لفهم تلك الآليات المعقدة التي تؤدي إلى تلاشي الذاكرة الفردية، بحيث تتحوّل الحكمة والخبرات المتراكمة عبر السنين إلى ضباب من الحيرة، عافانا وعافاكم الله، هذا الاغتراب الذاتي يضعنا أمام تساؤل وجودي عميق مفاده «من نحن إذا ما تجردنا من شريط ذكرياتنا؟!»، وكيف يمكن للإنسان أن يواجه قَدَرًا يمحو ملامح روحه ببطء؟! إن رصد هذه الحال من منظور طبي وإنساني يهدف في المقام الأول إلى قدح شرارة أمل في مختبرات البحث العلمي، سعيًا وراء ترياق يحمي جوهر الإنسان من التلاشي، ويحفظ للعقل كرامته في خريف العمر.

وكما أن ذاكرة الفرد قد يعتريها الوهن أحيانًا، فيسطو عليها لص ألزهايمر، فلذاكرة الشعوب والحضارات لصوصها كذلك. غير أن من حسن طالع الحضارة الإسلامية، عبر تاريخها الممتد، أن حظيت بقلاعٍ علميةٍ ودينية، كانت بمثابة مستودعات للهوية، وقد تمثلت تلك المستودعات، من بين ما تمثلت، في المساجد التي تأسست على التقوى، بما ضمن لها البقاء في مواجهة عوادي الزمن، فتجاوزت تلك المساجد دورها من مجرد أماكن للعبادة إلى منارات فكرية تُشكل وجدان الشعوب وتمنح للبلدان ملامحها وهويتها. وفي الحضارة الإسلامية، تتجاوز عمارة المساجد مجرد كونها عمليةَ رَصِّ لَبِنات، إلى كونها ذاكرة بصرية محفوظة، ومنارة إشعاع هادٍ حافَظ على اللغة والشريعة والقيم في أحلك الظروف. وصمود هذه المؤسسات لأكثر من ألف عام هو الدليل الأكبر على أن الأمة التي تعتني بذاكرتها الجماعية هي أمة تملك مناعة ضد الضياع، وقدرة فائقة على تجديد شبابها مهما تعاقبت عليها

ولا تكتمل صورة الذاكرة إلا بالرجوع خطوات إلى الوراء، حيث النفوس الطينية التي شكلها ماء الوحي فصارت مراجع أخلاقية تتأسى بها الأجيال اللاحقة. إن استحضار سير الرعيل الأول والسلف الصالح هو استدعاء للذاكرة الروحية التي تمدنا بالثبات في مواجهة الفتن...

الأنظمة والعهود.

ولا تكتمل صورة الذاكرة إلا بالرجوع خطوات إلى الوراء، حيث النفوس الطينية التي شكلها ماء الوحي فصارت مراجع أخلاقية تتأسى بها الأجيال اللاحقة. إن استحضار سير الرعيل الأول والسلف الصالح هو استدعاء للذاكرة الروحية التي تمدنا بالثبات في مواجهة الفتن، فليس هذا الاستدعاء مجرد سرد تاريخي إذن بقدر ما هو استقاء للعظة واستلهام للعبرة، يقول ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ..﴾ (يوسف: ١١٢). إننا نرى في ثبات هؤلاء الرواد على مبادئهم، وفي دقة تطبيقهم لتعاليم السماء، مدرسة لا تنتهي دروسها. فالاقتداء بمثل هؤلاء بمثابة الوفاء لهذه الذاكرة، الأمر الذي يتطلب منا ألا نكتفي بالقراءة، بل أن نُحوّل تلك القيم إلى سلوك معيش. فإحياء ذكرى أولئك الصالحين لا يقتصر على تدوين أسمائهم فحسب، بل في إحياء مآثرهم في واقعنا المعاصر، والعمل بمقتضى تلك المبادئ التي حفظت للأمة توازنها عبر القرون.

ويصدر هذا العدد الجديد من التقوى لشهر يوليو من عام ٢٠٢٦ حاملا بطاقة دعوة مفتوحة لحضور ومتابعة فعاليات الجلسة السنوية المركزية للجماعة الإسلامية الأحمدية بالمملكة المتحدة، ليدرك من يحضرها عن كثب، أو يتابعها من بعيد، حجم الأمانة التي يحملها، أمانة الحفاظ على هويته الروحية الشخصية بالتعلم والوعي، وأمانة الحفاظ على ذاكرة أمته بالبحث والانتماء وحسن الاتباع. وإننا في سباق محموم مع الزمن، فإما أن نكتب تاريخنا ونوثق هويتنا، أو أن نُسْلِمَ القياد لرياح النسيان، فتعبث بمستقبلنا.

فبين العلم الذي يُعالج الدماغ والتاريخ الذي يوثق المسيرة والدين الذي يهذب الروح، نسجت صفحات هذا العدد، على أمل أن يجد القراء فيها ما يُثري العقول، ويُذكي الرغبة في ترك أثر لا يمحوه الزمان ولا يقدر عليه النسيان.

نقض الفهم الحرفي للنص القرآني

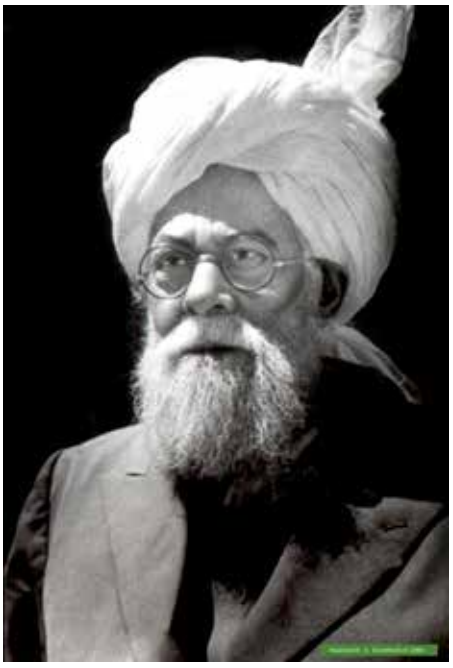

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٦﴾

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمتّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم ٨٦)

شرح الكلمات:

وفدًا: قال صاحب المفردات في تفسير كلمة «الوفد»: «هم الذين يقدِمون على الملوك مستنجِزين الحوائجَ».

التفسير:

مما لا شك فيه أن هذه الآية وما بعدها تنطبق على الحياة الآخرة أيضًا، وسيكون معناها أن المؤمنين سيُحضرون عند الله تعالى مجتمعين. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو أن الحديث هنا يدور حول التقدم المادي الذي ستحققه الشعوب المسيحية؛ ولا يمكن لمؤمن أن يقول عند رؤية تقدمهم المادي: حسنًا إذا كانوا قد حققوا التقدم المادي في الدنيا فسيعذبهم الله تعالى في الآخرة. وإنما يتمنى المؤمن أن يهينهم الله تعالى ويخزيهم أمام عينيه، ويجعل الإسلام غالبًا هنا في الدنيا. صحيح أنه لا يمكننا أن نغض الطرف عن المفهوم الذي يخص الآخرة لأن كلمات هذه الآية تنطبق على الآخرة أيضًا، بمعنى أن المؤمنين سيُحضَرون هناك عند الله تعالى مجتمعين لينالوا الجوائز والمكافآت؛ ولكن ما أركز عليه هو أن هذه السورة كلها تتحدث عن التقدم المادي والقوة المادية للمسيحيين، لذا فالوعد بهلاكهم في الآخرة فقط يبدو قولاً تافهًا جدًّا. إذا كان هؤلاء سيهلكون في الآخرة فحسب فكيف يمكن أن تصدق الدنيا قولنا إن هؤلاء على الباطل؟ إنها ستقول لنا كلا، فإنهم قد عاشوا في متعة ورخاء أمام أعيننا. فلا مناص لنا إذًا من تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ بما ينطبق على هذه الدنيا أيضًا. والمفهوم الذي ينطبق على هذه الحياة الدنيا إنما هو أنه حين يأتي موعد قرارنا بصدد هؤلاء القوم سنلقي في قلوب المؤمنين بأن يجتمعوا ويدعوا الآن لهلاكهم دعاء جماعيًّا. والصلاة التي نؤديها يوميًّا والتي يجتمع فيها المؤمنون أمام الله تعالى هي نوع من الحشر الذي تشير إليه هذه الآية. فالمعنى

أنه يوم يأتي موعد عذابهم سنذكي جذوة الحماس في قلوب المؤمنين، ونقول لهم ها قد حان الأوان الذي كنتم له منتظرين؛ فتعالوا ابتهِلوا إلينا حتى ننفذ فيهم قرارنا بالهلاك.

علمًا أن لفظ الوفد يُستعمل لقوم يحضرون الملك بحاجاتهم، ويحضر المسلمون عند الله تعالى بحاجاتهم على شكل جماعة خمس مرات يوميًا من خلال الصلوات؛ وهذا يعني أن كل المفاهيم التي تنطوي عليها كلمة «الوفد» موجودة في صلاة المسلمين. فلفظ «الوفد» يقتضي أن تكون هناك جماعة، وأن تكون لها حاجة وبُغية، وأن يكون لباسهم جميلاً لأنهم ذاهبون للمثول أمام ملك. وكل هذه الأمور متوفرة في الصلاة، حيث تؤدَّى الصلاة جماعةً، ويَعرض المصلون في صلاتهم حاجاتهم على الله تعالى، كما أنهم مأمورون بأداء الصلاة بثياب نظيفة طاهرة، حيث قال الله تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(الأعراف: ٣٢)، ولذلك أمر الشرع بالوضوء قبل الصلاة، وأن تؤدى الصلاة بثياب طاهرة، وأن لا يؤكل شيء ذو رائحة كريهة قبل الصلاة؟ ثم إن المصلي عندما يقف أمام الله تعالى في الصلاة يقول ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾. إذًا فالصلاة أفضل صورة للوفد، وبالتالي ستعني هذه الآية أننا سنلقي يومئذ في قلوب المؤمنين أن يدعونا لهلاك هؤلاء.

ويتضح من القرآن الكريم أن كل إنسان ينال الحياة بعد الموت، ولكنها حياة فردية. كما يخبرنا القرآن الكريم ويفصّل لنا الحديث أن هناك بعثًا يُحشر فيه الناس جميعًا إلى الله تعالى (الترمذي: أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر). وهناك فرق بين البعث الفردي والبعث الجماعي. والذين لا يُعمِلون الفكر والتدبر جيدًا يصابون بالتشويش حين يقال لهم من جهة إن كل إنسان ينال بعد الموت حياة جديدة على الفور، ومن جهة أخرى يقال لهم إن كل الناس سيُجمَعون في يوم من الأيام. فما العلاقة بين القولين؟

إن هذا الاعتراض ناشئ عن قلة التدبر كما قلت. إنهم لم يدركوا أن البعث نوعان: بعثٌ يبدأ بعد موت الإنسان مباشرة حيث يتزود بقوى وطاقات جديدة يشعر بها نعم الحياة الآخرة أو عذابها. ولكنه، في تلك الحالة، يشبه ولدًا لا يزال في سن الطفولة أو الصغر. ثم بعد ذلك حينما يكون الناس جميعًا مزوَّدين بقوى وقدرات تمكّنهم من الإحساس الكامل بالعذاب والثواب، فيشبهون الشاب البالغ القادر على التمتع بنعم الدنيا كلها، عندها سيُحشر الناس جميعًا، مؤمنين وكافرين. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(غافر: ٤٨).. أي أن آل فرعون يُعرضون على النار صباحًا ومساء، ولكن حين يحل يوم القيامة نصدر الأمر بإلقائهم في أشد العذاب.

كما ورد في الحديث أنه حين يأتي يوم القيامة يُمَدّ على جهنم جسرٌ هو أحدُّ من السيف وأدقّ من الشعر، ولا بد للجميع من المرور عليه. فمنهم من سيمرّ عليه بسرعة البرق، ومنهم من يمرّ عليه بسرعة الريح، ومنهم من يمرّ عليه مثل الطير، ومنهم من يجري عليه كأجود الخيل، ومنهم من يجرّ نفسه عليه كالأعرج والكسيح، وأما الكافرون والمنافقون فيُقطعون به قطعًا ويسقطون في الجحيم (الدر المنثور، المستدرك: كتاب التفسير).

إذًا فهناك حشرانِ: حشرٌ فردي، وحشر جماعي. وهذه الآية تتحدث عن الحشر الثاني، معلنة أنه ليس هناك حشر فردي فحسب، بل يكون حشر جماعي أيضًا.

لقد اختلف المفسرون في قول الله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾، فيما إذا كانوا يُحشَرون إلى الجنة أم إلى الله تعالى. فقال بعضهم: يُحشَرون إلى الجنة، ذلك لأن الجنة مسكن لله تعالى فقيل إنهم يُحشرون إلى الرحمن. فمن حُشر إلى الجنة كأنما حُشر إلى الله تعالى. وحجتهم على ذلك قول إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ﴿إني ذاهبٌ إلى ربي سيَهْدِينِ﴾(الصافات: ١٠٠). وقد قال هذا إني مهاجر إلى ربي حين أراد الهجرة إلى أرض كنعان التي اختارها الله تعالى وطنًا جديدًا لإبراهيم. فكما جاز لإبراهيم أن يقول ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ لدى هجرته إلى المكان الذي اختاره الله تعالى، كذلك عُبّر عن ذهاب هؤلاء إلى الجنة بقوله تعالى ﴿نحشُرُ المتقين إلى الرحمن وَفدًا﴾ (البغوي، والقرطبي).

كذلك ورد في الحديث «مَن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله» (البخاري: كتاب الإيمان، باب النيّة في الإيمان).. مع أن هذا المؤمن عندها كان يهاجر إلى المدينة في الواقع.

فثبت من ذلك أن الذهاب إلى مقام موعود أو مختار من قبل الله تعالى يكون بمنزلة الذهاب إلى الله تعالى.

بينما قال غيرهم: إنهم يُحشرون إلى الله تعالى، حيث ورد في الحديث أنهم سيؤخذون أوّلاً إلى الله تعالى ثم إلى الجنة (البخاري: كتاب صفة الجنة، باب في خلود أهل الجنة).

وقد اختلف المفسرون كل هذا الاختلاف لأنهم اعتبروا الله تعالى كائنًا مجسدًا، وبالتالي قاموا بتحديد مكان له. والحق أن الله تعالى موجود في كل مكان بحسب القرآن الكريم والحديث الشريف. فكان في المدينة إذا تمت الهجرة إليها، وكان في الحبشة إذا هاجر المسلمون إليها، وهو موجود حيثما ذهب عباده الأخيار، بل هو في كل مكان بالنسبة للكفار أيضًا. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿والذين كَفَروا أعْمَالُهم كسرابٍ بِقيعةٍ يحسَبه الظمآنُ ماءً حتى إذا جَاءه لم يجده شيئًا ووجَد اللهَ عنده فوفّاه حسابَه﴾(النور: ٤٠). فهنا قد اعتُبر وصول الكافر إلى مكان هلاكه بمثابة لقائه مع الله تعالى.

ويخبرنا الله تعالى أن المؤمنين حيثما يذهبون يرونه ﷻ حيث قال تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(البقرة: ١١٦).

كما يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يدُ اللهِ فوقَ أيديهُم﴾(الفتح: ١١). فاليد التي يبايع عليها الناس إنما كانت يدَ النبي ﷺ في الحقيقة، ولكن الله تعالى يعدّها يدًا له ﷻ. فهذه الآية أيضًا تؤكد أن المؤمن حيثما يذهب ير الله تعالى. كما أن الكافر أيضًا حيثما يذهب ير الله تعالى ولكن على شكل العذاب.

قصارى القول إن الله تعالى ليس محدودًا في مكان معين، كما أنه ليس مجسدًا. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ونحنُ أقربُ إليه مِن حبلِ الوريدِ﴾(ق: ١٧). فمن الغباء أن نقول عن الذي هو محيط بنا، والذي هو منزه عن أن يتجسد وأن يُحدَّد، أنه جالس في مكان محدد، وأن المؤمنين سيذهبون لزيارته راكبين الجياد.

ورد في الحديث أنه لما نزلت هذه الآية قال عليٌّ ﷺ يا رسول الله ﷺ : «إني قد رأيت الملوك ووفودهم، فلم أر وفدًا إلا ركبانًا، فما وفدُ الله؟» فقال رسول الله ﷺ إنهم يؤتَون بنُوقٍ مِن نوق الجنة فيركبونها. (انظر القرطبي). أي أن الوفود تذهب لزيارة الملوك على صهوات الخيل في ثياب جميلة غالية وبعزٍّ ووقار، فكيف يذهب هذا الوفد للقاء الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: سيؤتى بإبل من الجنة فيذهبون للقاء الله تعالى راكبين عليها.

وقد نقل الثعلبي هذه الرواية بطريق آخر حيث قال إن المؤمنين حين ينصرفون من عند الله تعالى بعد زيارته سيؤتون بالركاب (المرجع السابق).. أي أنهم يذهبون لزيارة الله تعالى مشاة، وعندما يخرجون من عند الله تعالى سيُعطَون المطايا.

وعن ابن عباس ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يأيها الناس إنكم لتُحشَرون إلى الله تعالى حُفاةً عُراةً غُرْلاً» (البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله ﷻ: واتخذ الله إبراهيمَ خليلا). فلا مجال لركوبهم المطايا في هذه الحالة. ولذا قد استنتج البعض من ذلك أنهم يذهبون للقاء الله تعالى عراةً مشاةً، ويرجعون ركبانًا في ثياب جميلة.

وهنا أيضًا قد ارتكب القوم الخطأ نفسه، حيث تمسكوا بحرفية هذه التعابير. والحق أن الثياب والمطايا في الجنة ليست كما هي في الدنيا، بل المراد أنه سيسود الناس فزعٌ عظيم بعد البعث فورًا، ولكن سيزول الفزع عن المؤمنين فورًا، ويقابَلون بالحفاوة والتكريم. وهذا ما يؤكده حديث الشفاعة أيضًا حيث ورد فيه أن الناس سيكونون في فزع كبير بعد البعث، ولكن المؤمنين ستنزل على قلوبهم السكينة والهدوء شيئًا فشيئًا (البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ذرّيّةَ مَن حملنا مع نوح).

أما لقاؤهم بالله تعالى فهو أيضًا كلقاء شيء محدود بمن هو غير محدود، وليس المراد منه أن الله تعالى سيكون جالسًا على العرش، وسيدخل عليه المؤمنون لزيارته راكبين الخيل والجِمال. لا جرم أن المؤمنين سيحظون هنا بلقاء الله تعالى، ولكن هذا اللقاء

وهنا أيضًا قد ارتكب القوم الخطأ نفسه، حيث تمسكوا بحرفية هذه التعابير. والحق أن الثياب والمطايا في الجنة ليست كما هي في الدنيا، بل المراد أنه سيسود الناس فزعٌ عظيم بعد البعث فورًا، ولكن سيزول الفزع عن المؤمنين فورًا، ويقابَلون بالحفاوة والتكريم.

سيتم هناك كما يتم في الدنيا بين الله وعباده المختارين. والفرق الوحيد أن اللقاء في الآخرة سيكون في أكمل صورة وأروعها إذ لن تكون لنا هناك هذه الأجساد المادية. وليس المراد أن الله تعالى سيتحدد في الآخرة في مكان ما فنراه هناك. إذا كنا نحن الذين هم محدودون هنا سنصبح غير محدودين هناك متحررين من قيود الجسد المادي في الآخرة، فمن غير المعقول تمامًا أن نظن أن الله الذي هو غير محدود الآن سيصير عندئذ محدودًا. لا شك أن كلمة «حفاةً عراةً» توهم في الظاهر أن المؤمنين ربما سيذهبون في الآخرة للقاء الله تعالى كما يذهب الناس لزيارة الملوك مشاةً وركبانًا، ولكن هذا غلط. ذلك لأننا نرى أن المؤمن في الدنيا يكون نائمًا بالليل، وقد خلع حذاءه، ووضع معظم ثيابه أيضًا، ومع ذلك يلقى الله تعالى.

لقد ذكرتُ في مناسبات عديدة أنني قد رأيت عبارة لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد كتبها في بعض دفاتره، يقول فيها: يا رب، يقول الناس أنني سأتركك، وأَنَّى لي أن أتركك. عندما يكون الناس كلهم نيامًا، وحينما يبتعد عني أصدقائي وأقاربي كلهم، بل إن نفسي هي الأخرى تنفصل عني، فإنك تزورني وتقول لي: لا تحزن، إني معك.

فإذا كان المسيح الموعود عليه السلام يلقى الله تعالى وهو نائم، فما الغرابة في أن يحظى جميع المؤمنين بلقاء روحاني مع الله تعالى مجتمعين، فيتفضل عليهم بالنعم والجوائز. إذا كان لقاء الإنسان بالله تعالى في حالة من الغفوة ممكنًا فكيف يستحيل أن يلقاه حافيًا أو عاريًا؟ كلا، بل من الممكن تمامًا من الناحية الروحانية أن يكون الإنسان حافيًا وعاريًا وغير مختتن أيضًا في وقت واحد، ومع ذلك يتلقى الجوائز والصلات من الله تعالى. كل ما في الأمر هو أن يسعى الإنسان لتفهم هذه الأمور بمنظور روحاني عوضًا عن أن ينظر إليها بمنظور ظاهري.

فبعض الأحيان يكون المرء مستلقيًا وهو ظمآن، فيُسقى كأس محبة الله في حالة من الكشف، فتسري الطراوة في جسده المادي أيضًا، ويزول عطشه. فهذا الإنسان، وإن كان قد سُقي كأسًا زال منها عطشه إلا أنه يعني من الناحية الروحانية أن الله تعالى قد ألقى حبه في قلبه. وبالمثل لما عُرض على النبي ﷺ في كشف الإسراء الماء والخمر واللبن تناول إناءَ اللبن ورفض الماء والخمر؛ وكان تأويل ذلك أن أمته ﷺ لن تهلك وستظل تتمتع بالمعارف الإلهية (دلائل النبوة للبيهقي مجلد ٢ باب الإسراء برسول الله ﷺ). بيد أننا يمكننا أن نقول أيضًا على سبيل المجاز أن جسد النبي ﷺ شعر بالعطش في ذلك الوقت، فأعطاه الله تعالى إناء اللبن، فشربه حتى ارتوى وزال عطشه. إن العلة الأساسية إنما هي أن الإنسان يعتبر هذه الأمور مادية، مع أنه لا علاقة لها بالجسد والمادة، وإنما هي أمور روحانية بحتة. لو أنه نظر إلى كل هذه الأشياء وحاول فهمها بمنظور روحاني لوجد أن كون الرجل حافيًا أو عاريًا أو غير مختتن أو راكبًا على خيل أو جمل لكل واحد منه مدلول في العالم الروحاني. لو أنه أخذ هذا الأمر في الحسبان، ثم قرأ في الحديث أمورًا أكثر غرابة من هذا أيضًا لأدرك بدون أي صعوبة أن الله تعالى إنما صور بتعبيرات مادية بعض المعاني الروحانية تقريبًا لها إلى أفهامنا. فكل ظاهر ينطوي على باطن أيضًا، وذلك الباطن هو الشيء الحقيقي، وهو أمر روحاني بحت، وأَسمى تمامًا من كل الماديات.

(يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

من مناقب الصحابة الخلفاء الراشدين (رضي الله تعالى عنهم أجمعين)

عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا. فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا. (صحيح البخاري،كتاب المناقب)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَوْا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. (صحيح البخاري،كتاب المناقب)

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قال: قالت عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ سَاقَيْهِ. فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ. فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَسَوَّى ثِيَابَهُ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ. فَقَالَ ﷺ: أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ. (صحيح مسلم،كتاب فضائل الصحابة)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: لَأَدْفَعَنَّ الرَّايَةَ إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ. قال: فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ فَتَطَاوَلْتُ لَهَا وَاسْتَشْرَفْتُ رَجَاءَ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَيَّ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَعَا عَلِيًّا فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ. (مسند أحمد،كتاب باقي مسند المكثرين)

هكذا تكلم المسيح الموعود

إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُم كَذُكَاءِ

إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُم كَذُكَاءِ ... قَدْ نَوَّرُوا وَجْهَ الوَرَى بِضِيَاءِ

تَرَكُوا أَقَارِبَهُمْ وَحُبَّ عِيَالِهِمْ ... جَاءوا رَسُولَ اللهِ كَالفُقَرَاءِ

ذُبِحُوا وَمَا خَافُوا الوَرَى مِنْ صِدْقِهِمْ ... بَلْ آثَرُوا الرَّحْمَـٰنَ عِنْدَ بَلاءِ

تَحْتَ السُّيُوفِ تَشَهَّدُوا لِخُلُوصِهِم ... شَهِدوا بِصِدْقِ القَلْبِ في الأَمْلاءِ

حَضَرُوا المَوَاطِنَ كُلَّهَا مِنْ صِدْقِهِم ... حَفَدُوا لَهَا في حَرَّةٍ رَجْلاءِ

الصَّالِحُونَ الخَاشِعُونَ لِرَبِّهِم ... البَايِثُونَ بِذِكْرِهِ وبُكَاءِ

قَوْمٌ كِرَامٌ لا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ ... كَانُوا لِخَيْرِ الرُّسْلِ كَالأَعْضَاءِ

مَا كَانَ طَعْنُ النَّاسِ فِيهِم صَادِقًا ... بَلْ حَشْنَةً نَشَأَتْ مِن الأَهْوَاءِ

إِنِّي أَرَى صَحْبَ الرَّسُولِ جَمِيعَهُم ... عِنْدَ المَلِيكِ بِعِزَّةٍ قَعْسَاءِ

تَبِعُوا الرَّسُولَ بِرَحْلِهِ وَثَوَاءِ ... صَارُوا بِسُبُلِ حَبِيبِهِمْ كَعَفَاءِ

نَهَضُوا لِنَصْرِ نَبِيِّنَا بِوَفَاءِ ... عِنْدَ الضَّلالِ وَفِتْنَةٍ صَمَّاءِ

وَتَحَيَّرُوا للهِ كُلَّ مُصِيبَةٍ ... وَتَهَلَّلُوا بِالقَتْلِ وَالإِجْلاءِ

أَنْوَارُهُمْ فَاقَتْ بَيَانَ مُبَيِّنٍ ... يَسْوَدُّ مِنْهَا وَجْهُ ذِي الشَّحْنَاءِ

فَانْظُرْ إِلى خِدْمَاتِهِم وثَبَاتِهِم ... ودَعِ الْعِدَا في غُصَّةٍ وصَلاءِ

يا رَبِّ فَارْحَمْنَا بِصَحْبِ نَبِيِّنَا ... واغْفِرْ وَأَنْتَ اللهُ ذُو الآلاءِ

واللهُ يَعْلَمُ لَوْ قَدَرْتُ ولم أَمُتْ ... لأَشَعْتُ مَدْحَ الصَّحْبِ في الأَعْدَاءِ

أبيات مقتطفة من قصيدة عربية للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام من كتاب سر الخلافة

جَوَانِبٌ مِنْ تَشْرِيعَاتِ الإِسْلامِ
عَلَى هَامِشِ سِيرِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ الكِرَام

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/١/١٣م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنت ذكرت في إحدى الخطب الماضية أنه قد بقي شيء من ذكر محاسن الصحابة، وسوف أذكره في مناسبة أخرى. سوف أتحدث اليوم عن هذا الأمر، بادئا بذكر عبد الله بن جحش رضي الله عنه.

كان من بني أسد. وقال البعض أن قبيلته كانوا حلفاء بني عبد شمس، بينما يرى البعض أنهم كانوا حلفاء حرب من بني أمية.

وورد عن صفة عبد الله بن جحش أنه ما كان طويلا ولا قصيرا. وكان كثيف شعر الرأس.

عبد الله بن جحش وحادث القتال في الشهر الحرام

أمّر النبي ﷺ عبد الله بن جحش على سرية ذات مرة، وأثنى على جلَده وثباته وشجاعته. فعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: »لأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُم رَجُلًا لَيْسَ بِخَيْرِكُم، وَلَكِنَّهُ أَصْبَرُكُمْ لِلْجُوعِ وَالْعَطَشِ».

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

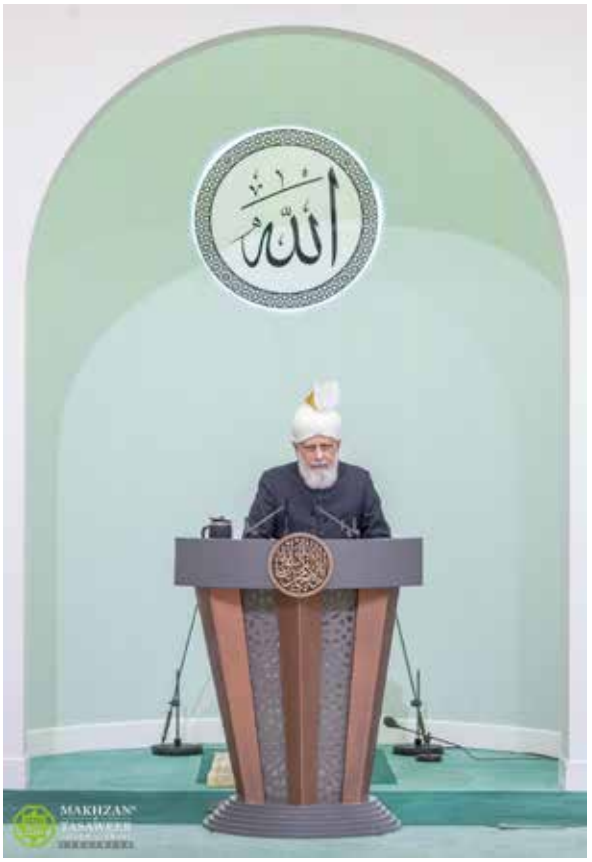

ثم يقول: خرجنا تحت إمارة عبد الله بن جحش إلى وادي نخلة الواقع بين مكة والطائف.

أما الغنائم التي وقعت في أيدي المسلمين في هذه المهمة فيرى البعض أنها أول غنيمة يغنمها المسلمون. وقد قسمها عبد الله بن جحش إلى خمسة أقسام، فكانت أول خُمُسٍ في الإسلام. وقال الإمام الشافعي كانت أول راية في الإسلام راية عبد الله بن جحش، وأول غنيمة قسمت في الإسلام كانت على يده أيضا.

وقال حضرة مرزا بشير أحمد بهذا الصدد في سيرة خاتم النبيين ﷺ: شنَّ أحد زعماء مكة، ويُدعى كرز بن جابر، هجوما مباغتا مع كتيبة قرشية على مرعى للمسلمين يقع على مسافة ثلاثة أميال من المدينة، وساق إبلهم. فبعث هذا الهجوم المباغت الخوف في المسلمين، وكان زعماء قريش قد هددوا المسلمين سلفًا بشن الغارات على المدينة، مما سبب قلقا بطبيعة الحال، ونظرا إلى هذا التهديد قرر النبي ﷺ القيام باستطلاع أخبار قريش وتنقلاتهم عن كثب، لكي يصله كل خبر قبل فوات الأوان وتبقى المدينة محمية من كل هجوم مباغت. فجهز ﷺ لهذا الغرض جماعة من ثمانية من المهاجرين، وتعمَّد أن يُشرك فيها مسلمين من شتى قبائل قريش، لكي تسهل عملية استطلاع أخبار قريش وخططها، وأمّر النبي ﷺ على هذه الجماعة ابن عمته عبد الله بن جحش.

ولكيلا يطّلع عامة المسلمين على هدف هذه الجماعة ووجهتها، لم يخبر النبي ﷺ أميرَ هذه السرية عن وجهته وهدفه عند رحيل هذه الجماعة، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدا. (علمًا أنه سبق ذِكر هذه القصة بصورة ما، ولكني لم أقصها في ضوء ما ذكره حضرة مرزا بشير أحمد)

فخرج عبد الله بن جحش وأصحابه بأمر سيدهم ﷺ، وبعد قطع مسافة يومين فتح عبد الله بن جحش رسالة النبي ﷺ وإذ فيها:

«امضِ حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصدُ بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم وتخبرنا بها». ولأن مهمة استطلاع الأخبار هذه كانت خطيرة جدا، فأوصاه النبي ﷺ أن يعلم أصحابه بالمهمة وألا يستكره أحدًا منهم بعد ذلك، فمن كان يريد المضي معه فليذهب ومن كره فاسمحْ له بالعودة. أعلمَ عبدُ الله أصحابَه بهذه التعليمات، فقال الجميع بصوت رجل واحد إننا مستعدون للمضي قدما بطيب نفس. فمضوا حتى نزلوا بنخلة. ولما بلغوا في موضع بحران ضل جملُ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان في الطريق، فذهبا للبحث عنه وانفصلا عن أصحابهما الذين لم يعثروا عليهما رغم البحث. فقلّ عدد هذه الجماعة إلى ستة فقط.

علمًا أنه قد سبق أن ذكرت جزءا من هذه الواقعة عند ذكر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ثم كتب حضرة مرزا بشير أحمد: قال السيد مرغليوث في هذا المقام: كان سعد بن أبي وقاص وعتبة قد أفقدا جملهما عمدًا لكي يتأخرا عن الجماعة. ويقول حضرة مرزا بشير أحمد: الغريب أن السيد مرغليوث يثير هذه الشبهة ضد مسلمينِ مخلصين كانت كل واقعة من حياتهما دليلا على شجاعتهما وفدائهما للإسلام، وكان أحدهما قد نال الشهادة على يد الكفار في بئر معونة، والآخر شارك في العديد من المعارك الخطيرة حتى صار فاتحا للعراق، وليس هذا الأمر إلا تلفيقا من مرغليوث بناءً على أفكاره الباطلة. على الرغم من ادعائه الموضوعية في كتابه هذا الذي يقول أنه كتبه منزها عن كل نوع من التعصب.

على كل حال، كانت هذه جملة اعتراضية. ويتابع حضرة مرزا بشير أحمد فيقول:

وصلت هذه الجماعة الصغيرة من المسلمين إلى وادي نخلة، ونفذوا المهمة التي أوكلت إليهم، وحلق بعضهم رؤوسهم حتى يظن من يمر بهم أنهم معتمرون، ولا يثيروا ارتيابهم. ولم تمض إلا أيام قليلة على وصولهم إلى هناك، حتى مرت بهم قافلة صغيرة لقريش في طريقها من الطائف إلى مكة، فتقابلت الجماعتان وجها لوجه.

فتشاور المسلمون فيما ينبغي عليهم فعله. كان الرسول ﷺ قد أرسلهم لاستطلاع الأخبار فقط، ولكنهم قد صاروا وجها لوجه مع عير قريش، وكانت الجماعتان على وشك القتال، وكان طبيعيا أن يخاف المسلمون أن قافلة قريش قد رأتهم وأن أمر استطلاع الأخبار لن يبقى بعد ذلك سرا.

وكان هنالك إشكال آخر، وهو أن بعض المسلمين كانوا يرون أنها الأيام الأخيرة من شهر رجب وهو من الشهور الحُرُم التي لا ينبغي فيها القتال بحسب عادة العرب، بينما كان بعضهم يرون أن رجب قد انقضى وقد بدأ شعبان. وفي بعض الروايات أن هذه السرية بُعثت في جمادى الثانية، وكانوا يشكون فيما إذا كانوا لا يزالون في جمادى الثانية أم دخلوا في رجب.

والمشكلة الأخرى أن وادي نخلة كان يقع على حدود الحرم تماما، والظاهر أنهم إن لم يقرروا اليوم فإن عير قريش ستدخل غدا في منطقة الحرم، وحرمتها قطعية.

وبعد التفكير في هذه الأمور كلها، قرر المسلمون أخيرا الهجوم على قافلة قريش، وأن يأسروهم أو يقتلوهم. فحملوا عليهم باسم الله، فقتلوا مِنهم عمرو بن الحضرمي، وأسروا اثنين منهم، وهرب الرابع من سوء الحظ، وهكذا لم تسِر خطة المسلمين كما أرادوا.

ثم استولى المسلمون على أموال العير. ولأن أحدا منهم انفلت، وكانوا على يقين أن خبر الاشتباك سيصل إلى مكة فورا، فسارع عبد الله بن جحش وأصحابه في العودة إلى المدينة المنورة بالغنائم.

ثم يقول حضرته: لقد كتب السيد مرغليوث هنا: الواقع أن محمدا (ﷺ) كان قد بعث هذه الكتيبة في الشهر الحرام متعمدا، إذ فكر أن قريشا ستكون غافلة في هذا الشهر، وأن المسلمين سيجدون فرصة سانحة يقينية للاستيلاء على قافلتها بسهولة.

ولكن كل عاقل يدرك أن من المحال أن ترسَل هذه الجماعة الصغيرة إلى مكان بعيد كل هذا البعد من أجل قتال قافلة وسلبها، سيما وكانت قاعدة العدو المركزية قريبة من ذلك المكان جدا.

ثم إن الثابت من التاريخ قطعا أن هذه الجماعة قد بُعثت من أجل استطلاع الأخبار فقط، ولما علم النبي ﷺ بأن هؤلاء الصحابة قد هجموا على القافلة، استاء استياءً كبيرا. فقد ورد أن هذه الجماعة لما رجعت إلى النبي ﷺ وأخبرته بالحادث، سخط عليهم سخطا شديدا وقال: «لم أسمح لكم بالقتال في الشهر الحرام»، وأبى أن يأخذ من الغنائم شيئًا.

فندم عبد الله ورفاقه على فعلتهم ندما شديدا، وقالوا إنهم قد صاروا بسخط الله ورسوله من الهالكين. كما أن الصحابة الآخرين لاموهم لوما شديدا، وقالوا لقد فعلتم ما لم تؤمروا به، وقاتلتم في الشهر الحرام، مع أنه لم يؤذن لكم بالقتال أبدا.

فالثابت تاريخيا أن زعماء قريش استمروا في خطتهم الدموية ضد الإسلام في الأشهر الحرم، بل تمادوا في أعمالهم المفسدة مستغلين سفر الناس واجتماعاتهم في الأشهر الحرم، بل كانوا من قلة حيائهم يؤخرون الأشهر الحرم عن موعد حلولها، إيهاما لأنفسهم بالطمأنينة كذبا، وكانوا يسمون هذه العملية النسيء. ثم بعد ذلك فعلَ كفار مكة وحلفاؤهم ما هو أشد من ذلك...

ومن ناحية أخرى أثارت قريش الضجة بأن المسلمين قد استحلّوا الشهر الحرام. وكان عمرو بن الحضرمي الذي قُتل منهم أحد زعماء مكة وكان حليفا لعتبة بن ربيعة أحدِ زعمائها، فأججت هذه الواقعة نار غضب قريش، فبدأت في التجهيز للهجوم على المدينة بحماس أكبر، وكانت معركة بدر نتيجة لهذه التجهيزات والحماس والعداء عموما.

باختصار، تكلم كل من الكفار والمسلمين كثيرا فيما حصل في هذه الواقعة، وأخيرًا نزل الوحي القرآني واطمأن المسلمون، وهو قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾.

أي يسألك الناس عن القتال في الشهر الحرام، فأجبْهم بأن القتال في الشهر الحرام أمر منكر جدا بلا شك، ولكن منْع الناس من دين الله في الشهر الحرام، بل الكفر بالشهر الحرام والمسجد الحرام، أي هتْك قداستهما، ثم إخراج أهل الحرم منه كما تفعلون أيها المشركون، كل هذه الأمور أشد سوءا من القتال في الشهر الحرام، ولا جرم أن إثارة الفتنة في البلاد في الشهر الحرام أشد من القتل الذي يتم درءًا للفتنة، وأيها المسلمون، إن الكفار قد تعامَوا في عدائكم لدرجة أنهم لن يرتدعوا عن قتالكم في أي مكان وفي أي وقت، وسيستمرون في قتالكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ذلك.

فالثابت تاريخيا أن زعماء قريش استمروا في خطتهم الدموية ضد الإسلام في الأشهر الحرم، بل تمادوا في أعمالهم المفسدة مستغلين سفر الناس واجتماعاتهم في الأشهر الحرم، بل كانوا من قلة حيائهم يؤخرون الأشهر الحرم عن موعد حلولها، إيهاما لأنفسهم بالطمأنينة كذبا، وكانوا يسمون هذه العملية النسيء. ثم بعد ذلك فعلَ كفار مكة وحلفاؤهم ما هو أشد من ذلك، حيث إنهم رغم العهود والمواثيق التي قطعوها في صلح الحديبية استلوا السيف في الحرم ضد قبيلة متحالفة مع المسلمين، ولما خرج المسلمون لحمايتها تصدوا لهم بسيوفهم في الحرم.

فهذا الجواب الرباني قد جلب الطمأنينة للمسلمين، كما أن قريشا أيضا هدأت به قليلا، وأرسلت مبعوثين إلى المدينة المنورة للإفراج عن الأسيرين، ولكن سعد بن أبي وقاص وعتبة لم يكونا قد عادا إلى المدينة بعدُ، فتخوف النبي ﷺ أنهما إذا وقعا بيد قريش فلن تتركهما حيين، فرفض الإفراج عن المحتجزين، في انتظار عودة سعد وعتبة اللذين وصلا إلى المدينة في غضون بضعة أيام، فأُطلق سراح الأسيرين. ولكن واحدًا منهما تأثر بأخلاق رسول الله ﷺ وصدقِ تعاليم الإسلام، بحيث رفض العودة رغم إطلاق سراحه، فأسلم على يد النبي ﷺ، واستُشهد في بئر معونة في نهاية المطاف، وكان اسمه الحكم بن كيسان.

عبد الله بن جحش وأول راية في الإسلام

انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم أحد، فأعطاه ﷺ عرجونًا (أي غصنًا من النخل)، فعاد في يده سيفًا، فكان سيف عبد الله يسمى بالعرجون منذ ذلك اليوم.

وقال أبو نُعيم: كان عبد الله بن جحش يقسم بالله، ويحب الله كثيرا، وهو أول من رفع الراية في الإسلام.

عن الشعبي قال: أتاني رجلان يتفاخران، رجل من بني عامر، ورجل من بني أسد، والعامري آخذ بيد الأسدي والأسدي يقول: دعني، وهو يقول: والله لا أدعك، فقلت: يا أخا بني عامر دعه، وقلت للأسدي: إنه كان لكم خصال ست لم تكن لأحد من العرب، إنه كانت منكم امرأة خطبها رسول الله ﷺ فزوجه الله إياها، وكان السفير بينهما جبريل عليه السلام، زينب بنت جحش، فكانت هذه لقومك، وكان منكم رجل من أهل الجنة يمشي على الأرض مُقْنِعًا، وهو عكاشة بن محصن، وكانت هذه لقومك، وكان أول لواء عقد في الإسلام لرجل منكم؛ لعبد الله بن جحش، وكانت هذه لقومك، وكان أول مغنم قسم في الإسلام مغنم عبد الله بن جحش، وكان أول من بايع بيعة الرضوان، رجل من قومك أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك. فقال: على ماذا؟ قال: على ما في نفسك. قال: وما في نفسي؟ قال: الفتح أو الشهادة. فبايعه أبو سنان، وكان الناس يجيئون فيقولون: نبايع على بيعة أبي سنان. فكانت هذه لقومك، وكانوا سبع المهاجرين يوم بدر، فكانت هذه لقومك.

وفي رواية أن عبد الله بن جحش قُتل يوم أُحد وكانت زينب بنت خزيمة تحته، ثم تزّوجها رسول الله ﷺ. مكثت عنده ثمانية أشهر وقيل: ثلاثة أشهر، وتوفيت في آخر ربيع الآخر، صلّى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع. وقد سبق ذكر بعض سوانحها من قبل، كما قلت آنفا.

صالح شقران ﷺ

يقول البعض إن رسول الله ﷺ ورث شقرانَ وأمَّ أيمن من أبيه وأعتقهما ﷺ بعد غزوة بدر. وجاء في بعض الروايات، كرواية أحمد بن حنبل، أن صالح شقران كان ممن نالوا شرف غسل النبي ﷺ بعد وفاته مع ثمانية من أهل البيت. كان صالح شقران وأسامة بن زيد من الصحابة الذين صبوا الماء على النبي ﷺ عند غسله.

وفي رواية عن ابن عباس، قال: اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله، عمّه العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه.

فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الناس أوس بن خولي الأنصاري، أحد بني عوف بن الخزرج –وكان بدريا– علي بن أبي طالب، فقال: يا علي نناشدك الله وحظنا من رسول الله ﷺ: فقال له علي: ادخل. فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ. فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس وفضل وقثم يقلبونه مع علي، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء، وجعل علي يغسله.

صالح شقران ﷺ ورواية الصلاة على المطية

قال العلامة البلاذري إن عمر ﷺ أرسل عبد الرحمن بن شقران إلى أبي موسى الأشعري وكتب إليه إني مرسل إليك رجلا صالحا، عبد الرحمن بن صالح شقران الذي كان عبدا وأعتقه النبي ﷺ. فعامِله بحق مكانة أبيه عند رسول الله ﷺ. وقد ذكر العلامة البلاذري أن صالح شقران سكن في المدينة وكان له بيت في البصرة أيضا وتوفي في عهد عمر ﷺ.

إن آخر فرد من عائلته توفي في عهد هارون الرشيد. كان أحد أفراد عائلته يسكن في البصرة. قال مصعب إنه لا يعلم هل بقي نسله بعده أم لا. عن شقران مولى رسول الله ﷺ قال: «رأيته –يعني النبي ﷺ– متوجها إلى خيبر على حمار يصلي عليه يومئ إيماء». فمن هنا اتضحت أيضا مسألة الصلاة على المطية.

مالك بن الدخشم، والشهادة للمسلم بالإيمان

وهناك صحابي آخر اسمه مالك بن الدخشم، وبقي شيء من ذكر سوانحه، وسأذكره هنا. فقد ورد بشأن تسميته أن اسمه مالك بن الدخشم، وقيل مالك بن الدخيشم أيضا. وقيل: مالك بن الدخشم بن مرضحة، وقيل: مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة. واسم أمّه: عميرة بنت سعد. تزوج مالكٌ جميلةَ بنت أبي بن سلول، فكانت أخت رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول. وقال مالك عن أَسْر سهيل بن عمرو:

أَسَرْت سُهَيْلًا فَلَا أَبْتَغِي
أَسِيراً بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمْ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنّ الْفَتَى
فَتَاهَا سُهَيْلٌ إذَا يُظَّلَمْ
ضَرَبْت بِذِي الشّفْرِ حَتّى انْثَنَى
وَأَكْرَهْت نَفْسِي عَلَى ذِي الْعَلَمْ

جاء في أسد الغابة عن أسرى بدر: روى أَبُو صالح، عن ابن عباس، قال: قال أَبُو اليسر، ومالك بْن الدخشم العوفي، وطارق بْن عبيد بْن مسعود الأنصاري: يا رَسُول اللَّه، إنك قلت: من جاء بأسير فله كذا وكذا، ومن قتل قتيلًا فله كذا وكذا، وقد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين؟ فقال سعد بْن معاذ: يا رَسُول اللَّه، ما منعنا أن نفعل كما فعل هؤلاء إلا أنا كنا ردءًا للمسلمين من ورائهم أن يصاب منهم عورة، الغنائم قليل والناس كثير، فمتى تعطهم الذي نفلتهم يبقى الناس لا شيء لهم، وتراجعوا الكلام، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عن الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.﴾

قالوا: ومر مالك بن الدخشم على خارجة بن زيد بن أبي زهير يوم أُحد، وبه ثلاثة عشر جرحًا، كلها قد خلصت إلى مقتل، فقال مالك: أما علمت أن محمدًا قد قُتل؟ قال خارجة: فإن كان قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقد بلَّغ محمد، فقاتل عن دينك!

وفي رواية أنه حين انتشرت شائعة مقتل رسول الله ومرّ مالك بن الدخشم على خارجة بن زيد وعلى صدره اثنا عشر جرحًا، كلها قد خلص إلى مقتلٍ، فقال: علمت أن محمدًا قد قتل؟ قال سعد بن الربيع: أشهد أن محمدًا قد بلَّغ رسالة ربه، فقاتل عن دينك، فإن الله حي لا يموت!

وفي رواية أن بعض الناس قالوا لرسول الله ﷺ إنه، أي مالك بن الدخشم، في رهط المنافقين. فقال ﷺ: ألا يصلّي؟ قالوا: يصليّ يا رسول الله ولكنها صلاة لا خير فيها. فقال ﷺ مرتين: قد مُنعت من قتل المصلين. (وفي ذلك درس للمسلمين المعاصرين)

وفي رواية أن النبي ﷺ أرسل معن بن عدي وأخاه عاصم بن عدي مع مالك بن الدخشم لهدم مسجد الضرار. وقد ورد عن مالك أن نسله انقطع بعده.

عكاشة بن محصن رضي الله عنه

ثم هناك ذكر وجيز لعكاشة بن محصن: كان اسمه عكاشة بن محصن بن حرسان، وكنيته أبو محصن. وقُتل في عام ١٢ من الهجرة في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ. قال الإمام الشعبي عن عكاشة أنه كان هناك رجل يمشي على الأرض بتواضع وكان اسمه عكاشة بن محصن. في العام الثاني من الهجرة أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في مهمة وفيها عكاشة بن محصن أيضا.

جاء في السيرة الحلبية: ما زال ﷺ يرمي يوم أُحد عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت في يده منه قطعة تكون شبرا في سية القوس، فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له. فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال: مده يبلغ. قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا على سية القوس.

في رواية أن في عام ٦ من الهجرة أغار عيينة بن حصن الفزاري في بني عبد الله من غطفان فاستلحموا لقاح النبي ﷺ بالغابة وكان فيها رجل من بنى غفار وامرأته فقتلوا الرجل وحملوا المرأة. ونذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي غدا يريد الغابة ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سلع ونادى قومه للمساعدة. ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ...فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى. لما بلغ رسول الله ﷺ الخبرُ أعلن بالمدينة بالخطر، فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ وكان منهم عكاشة بن محصن وغيرهم. وَأَدْرَكَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ أَوْبَارًا وَابْنَهُ عَمْرَو بْنَ أَوْبَارٍ، وَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ فَانْتَظَمَهُمَا بِالرّمْحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا، وَاسْتَنْقَذُوا بَعْضَ اللّقَاحِ. الذكر التالي هو لخارجة بن زيد ﷺ، الذي كان يُكنى بأبي زيد. جاء في رواية أن خارجة بن زيد ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما سألا علماء اليهود عن بعض الأمور الواردة في التوراة، فرفضوا الرد عليها، فأنزل الله تعالى آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.﴾.

زياد بن لبيد ﷺ والنبوءة عن أوان ذهاب العلم

ثم هناك ذكر زياد بن لبيد ﷺ. كانت كنيته: أبو عبد الله. وكان من الخزرج، قبيلة الأنصار بن بياضة بن عامر. كان نسله يسكن في المدينة وبغداد. عن الضحاك بن النعمان بن سعد أن مسروق بن وائل قدم على رسول الله ﷺ المدينة بالعقيق. (العقيق يُطلق على كثير من الوديان والمعادن وأماكن أخرى. أشهر الوديان هي العقيق، التي تقع غرب المدينة. في زمن النبي ﷺ كان الطريق من مكة إلى المدينة يمر بوادي العقيق ويصل إلى ذي الحليفة، وهذا الطريق ما زال موجودا) يتابع الراوي: فأسلم وحسن إسلامه، ثم قال: يا رسول الله إني أحب أن تبعث إلى قومي فتدعوهم إلى الإسلام فأرسل رسول الله ﷺ إليهم زياد بن لبيد ﷺ. مات زياد في عام ٤١ من الهجرة في عهد معاوية.

يقول الطبراني: مكث زياد في الكوفة، ويقول مسلم وابن حبان إنه عاش في الشام. يقول ابن حبان أنه كان من الفقهاء ومن الصحابة. عن زياد بن لبيد، قال: ذكر النبي ﷺ شيئا، قال: «ذاك عند أوان ذهاب العلم». قال: قلنا: يا رسول الله فكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟

قال: ثكلتْك أمك إن كنت أراك من أفقه رجال المدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا يعملون مما

فيهما شيئا.
سوف يُرفع العلم وسوف يقرأ المسلمون القرآن ولن يعملوا به، وهذا ما نلاحظه اليوم.
وهناك رواية عن يزيد بن عبد الله بن قسيد أن سيدنا أبا بكر ﷺ بعث عكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة مسلم لنجدة سيدنا زياد بن لبيد وسيدنا مهاجر بن أمية بن أبي أمية، فوصلوا إلى الجيش حين كان قد فتحَ منطقة نجير في اليمن، فأعطاهم سيدُنا زياد بن لبيد نصيبا من الغنائم، فكان الركب قد وصل بعد الفتح.
يقول الإمام الشافعي كان سيدنا زياد قد كتب إلى سيدنا أبي بكر ﷺ بخصوص ذلك فكتب إليه حضرتُه في الجواب أن في الغنائم حقًّا للذي اشترك في القتال، وهو لا يرى عكرمة مستحقا للغنائم لأنه لم يكن شريكا في الحرب، حين تشاور سيدُنا زياد وأصحابه في ذلك رضُوا بطيب خاطر بأن يُشركوا عكرمة وجيشه في الغنائم.

خالد بن البكير

الآن أتناول ذكر سيدنا خالد بن البكير بن عبد ياليل وكان من بني سعد الحليفة لبني عدي. يقول ابن إسحاق لا نعرف أربعة إخوان شاركوا بدرا سوى إياس وإخوته عاقل وخالد وعامر، فهم شهدوا بدرا وهاجروا معا إلى المدينة وأقاموا فيها عند رفاعة بن عبد المنذر.
يقول ابن إسحاق إن رجالا من قبيلتَي عضل والقارة جاؤوا إلى النبي ﷺ بعد غزوة أُحد، وقالوا يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ فِينَا إسْلَامًا، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِك يُفَقّهُونَنَا فِي الدّينِ وَيُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ نَفَرًا سِتّةً مِنْ أَصْحَابِهِ تحت إمارة مَرْثَد بْن أَبِي مَرْثَدٍ وكان منهم خالد بن البكير. لكنهم قَتلوا هؤلاء الصحابةَ خدعةً.

عمار بن ياسر، وشيء من التاريخ، ثم رواية التيمم

وبعده ذكرُ عمار بن ياسر، وكان يكنى بأبي يقظان. كتب عنه سيدنا المصلح الموعود مستمِدًّا من شتى كتب التاريخ أن رسول الله ﷺ مر ذات يوم من عبد اسمه عمار وكان يتنهد ويكفكف دموعه فسأله النبي ﷺ ما بك يا عمار؟ فقال: يا رسول بئس ما حصل معي، فقد ظل الأعداء يضربونني ويؤذونني ولم يتركوني حتى يستصدروا مني كلاما ضدك وتأييدا للآلهة. فسأله النبي ﷺ ما الذي كنت تشعر في قلبك؟ فقال عمار كان في قلبي إيمان لا يتزلزل، وصحيح أني تكلمت بلساني ضدك لكن قلبي كان عامرا بالإيمان. فقال النبي ﷺ: إذا كان قلبك مطمئنا بالإيمان فسوف يغفر الله زلتك. أما هجرته إلى الحبشة ففيها اختلاف إذ يظن البعض أنه كان ممن هاجروا إلى الحبشة ثانية.
يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ عن الفتنة في عهد سيدنا عثمان ﷺ أنه حين تفاقمت هذه الفتنة وبدأ الصحابة أيضا يتلقون الرسائل من الناقمين على الولاة، قالوا معا لسيدنا عثمان ألا تعرف ماذا يجري في الخارج؟ فقال إن التقارير التي تصلني تفيد بأن كل شيء على ما يرام. فقال الصحابة إنهم يتلقون الرسائل بهذا الموضوع من الخارج لذا يجب التحقيق، فاستشارهم كيف يمكن التحقيق، ثم بحسب رأيهم بعث أسامةَ بن زيد إلى البصرة ومحمدَ بن مسلمة إلى الكوفة وعبدَ الله بن عمر إلى الشام وعمارَ بن ياسر إلى مصر، وأمرهم بأن يتقصوا الحقائق هناك ويُرسلوا تقاريرهم التي يتبين منها ما إذا كان الولاة فعلا يظلمون الرعية ويعتدون عليهم ويغصبون حقوقهم أم لا. وإضافة إلى هؤلاء الأربعة بعث رجالا آخرين أيضا إلى بعض الأمصار، لاستطلاع الأمور. فذهب هؤلاء كلهم وبعد العودة بعد التحقيق رفعوا التقرير أن في كل مكان يسود الأمن والسلام ويعيش المسلمون بكل حرية ولا أحد يهضم حقوقهم، وأن الولاة يعملون بعدل وإنصاف، أما عمار بن ياسر فتأخر ولم يرد منه أي خبر، حتى ظن الناس في المدينة أنه قد اغتيل. ولكن الحقيقة أنه بسبب بساطته وعدم خبرته في السياسة وقع في شراك المفسدين الذين كانوا تلاميذ عبد الله بن سبأ. ولما كان عبد الله ابن سبأ موجودا بنفسه في مصر فلم

يغفل أن الوفد القادم للتحقيق إذا أصدر قراره بوجود الأمن والسلام في البلاد فلا بد أن يهبّ الناس لمعارضته وأشياعِه. علما أن إرسال عثمان ﷺ الوفد المذكور كان قرارا مفاجئا فلم يجد ابنُ سبأ فرصة للقيام بإجراءات تخدم هدفه في مناطق أخرى. أما في مصر فكان القيام بهذه الإجراءات سهلا؛ فحين دخلها عمارُ بن ياسر استقبله ابنُ سبأ وشرع يذكر أمامه عيوب والي مصر عمرو بنِ العاص ومظالمَه على حد زعمه. فلم يسلم عمار من سحر لسانه الذرب، فقد تكلم مع عمار بحيث انطلى عليه كلامه الساحر، إذ كان متكلما بليغا، وبدلا من أن يقوم عمارٌ بتحقيق حيادي لم يقابل والي مصر ولم يقم بتحقيق عام أيضا بل توجَّه مع حزب المفسدين وأثار الاعتراضات مثلهم.

إذا كان أحد من الصحابة قد وقع في شراك المفسدين فعلا فهو عمار بن ياسر فقط، ولم يقع في الفتنة أي صحابي معروف غيره. وإذا ورد في رواية مثلا أن أحدهم (علاوة على عمار) وقعَ في هذا الشراك فقد برّأت ساحتَه رواياتٌ أخرى. أما وقوع عمار في شراكهم والانخداع بخديعتهم فكان لسبب معين – فلم يكن فيه نفاق والعياذ بالله – وهو أنه حين وصل مصر قابلتْه جماعةٌ من الذين كانوا يَبدون مخلصين في الظاهر ولكنهم في الحقيقة كانوا محتالين وذوي لسان ذرب فذكروا عيوب والي مصر أمامه بشطارة متناهية. وكان والي مصر بالمصادفة من ألدّ أعداء النبي ﷺ في سابق عهده حتى أن النبي ﷺ كان قد أمر عند فتح مكة بقتله وإن وُجد في الكعبة. ومع أن النبي ﷺ كان قد عفا عنه لاحقا ولكن ذكريات عداوته السابقة للنبي ﷺ كانت موجودة في أذهان بعض الصحابة بمن فيهم عمار بن ياسر أيضا. فكان طبيعيا أن يتأثر عمار سريعا بما أشاع عنه المفسدون، وقبِل صحة التهم الموجَّهة إليه. والأمور التي كان يركز عليها عبد الله بن سبأ ومَن معه مستغلين هذا الشعور الطبيعي عند عمار قبِلها عمارٌ وانضم إليهم.

لكنه قد ورد أيضا أن سيدنا عمارا خاطب الناس يوم صفين وقال لهم أين الذين يريدون رضوان الله ويزهدون في المال والأولاد؟ فاجتمع حوله جماعة من الناس، فقال لهم سيدنا عمار: أيها الناس انطلقوا معنا إلى الذين يطلبون ثأر دم عثمان بن عفان، الذين يزعمون أن عثمان قُتل ظلما، فوالله هم لا يطلبون ثأر عثمان بل قد تذوقوا طعم الدنيا. فكان قد أدرك أن المفسدين يثيرون الفتن، وقال إنهم يحبون الدنيا ويلهفون وراءها، فقد علموا أن الحق لصق بهم وأنه سيحول بينهم وبين الأمور المادية، وليس لهؤلاء سبقٌ في الإسلام حتى يستحقوا طاعة الناس وإمارتهم، فهم ليسوا سباقين في الإسلام حتى يُجعلوا أمراء إنما هم يريدون الفتنة. فهم قد خدعوا أتباعهم بقولهم إن إمامهم قُتل ظلمًا وذلك لكي يصبحوا هم الجبابرةُ ملوكًا، وبهذه المكيدة قد وصلوا إلى حيث تروهم، فلو لم يطلبوا قصاص عثمان لما تبعهم اثنان من الناس. ثم قال: اللهم انصرنا الآن كما نصرتَنا في مواقع كثيرة، وإذا وفَّقتَهم في مراميهم فقدِّر لهم عذابا أليما لأنهم أحدثوا أمورا في عبادك.

وعن محمد بن عمرو وغيره أنه لما استلحم القتال بصفين، وكادوا يتفانون قال معاوية: هذا يوم تفانى فيه العرب إلا أن تدركهم فيه خفة العبد يعني عمار بن ياسر، أي أن يُستشهد عمار، وكان القتال الشديد ثلاثة أيام ولياليهن. فلما كان اليوم الثالث قال عمار لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ومعه اللواء يومئذٍ: احمل فداك أبي وأمي، فقال هاشم: يا عمار، رحمك الله، إنك رجل تستخفّك الحرب، وإني إنما أزحف باللواء زحفًا رجاء أن أبلغ بذلك بعض ما أريد، وإني إن خففت لم آمن الهلكة، فلم يزل به حتى حمل، فنهض عمار في كتيبته، فنهض إليه ذو الكلاع في كتيبته، فاقتتلوا فقتلا جميعًا، واستؤصلت الكتيبتان، وحمل على عمار حويّ السكسكي وأبو الغادية المزني، فقتلاه، فقيل لأبي الغادية: كيف قتلته؟ قال: لما دلف إلينا في كتيبته، ودلفنا إليه نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من السكاسك (وهي قبيلة في اليمن) فاضطربا بسيفيهما فقتل عمارٌ السكسكي ثم نادى:

إذا كان أحد من الصحابة قد وقع في شراك المفسدين فعلا فهو عمار بن ياسر فقط، ولم يقع في الفتنة أي صحابي معروف غيره. وإذا ورد في رواية مثلا أن أحدهم (علاوة على عمار) وقعَ في هذا الشراك فقد برّأت ساحتَه رواياتٌ أخرى. أما وقوع عمار في شراكهم والانخداع بخديعتهم فكان لسبب معين - فلم يكن فيه نفاق والعياذ بالله -

من يبارز؟ فبرز إليه رجل من حمير (وهي أيضا قبيلة في اليمن) فاضطربا بسيفيهما فقتل عمارٌ الحميري، وأثخنه الحميري، ونادى: من يبارز؟ فبرزتُ إليه، فاختلفنا ضربتين، وقد كانت يده ضعفت، فانتحيت عليه بضربة أخرى، فسقط، فضربتُه بسيفي حتى برد.

يقول الراوي قال عليٌّ حين قُتل عمار: إن امرأ من المسلمين لم يعْظُم عليه قتلُ ابن ياسر وتدخ عليه المصيبة الموجعة لَغير رشيد، رحم الله عمارًا يوم أسلم، ورحم الله عمارًا يوم لم يكن يُذكر أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان رابعًا، ولا خمسة إلا كان خامسًا، وكان من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن أحدهم أو اثنان يشكّان أن عمارًا قد وجبتْ له الجنة في غير موطن. فهنيئًا لعمار بالجنة. ولقد قيل: إن عمارًا مع الحق، والحق معه يدور، عمار مع الحق أينما دار، وقاتلُ عمار في النار.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصِبْ الْمَاءَ فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ (أي تيممت لعدم وجود الماء) فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الْأَرْضَ وَنَفَخَ فِيهِمَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ.

قَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبَنَا سيدنا عمار فأوجز وأبلغ فَلَمَّا نزل من المنبر قلنا له: يَا أَبَا الْيَقظَان، لقد أبلغتَ وأوجزت، فَلَو كنت تنفست، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِن طول صَلَاة الرجل وَقصر خطبَته مئنَّة من فقهه، فأطيلوا الصَّلَاة، واقصروا الْخطْبَة، فَإِن من الْبَيَان سحرًا»

عَنْ حَسَّانَ بْنِ بِلَالٍ قَالَ رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ تَوَضَّأَ فَخَلَّلَ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ أَوْ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَتُخَلِّلُ لِحْيَتَكَ قَالَ وَمَا يَمْنَعُنِي وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُخَلِّلُ لِحْيَتَهُ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فَقَالَ أَغْرِبْ مَقْبُوحًا مَنْبُوحًا أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فهذا ذكر بعض الصحابة، وما تبقَّى منهم فسأتناولهم في المستقبل إن شاء الله.

(وعندي خبر محزن أيضا، فقد استُشهد أول أمس تسعة أحمديين في بوركينافاسو، فالحدث مؤسف جدا، إنا لله وإنا إليه راجعون. فقد قُتلوا بدم بارد، فكان امتحانٌ لإيمانهم فثبتوا ونجحوا في هذا الامتحان. فلم يُطلَق عليهم الرصاص عشوائيا، بل قد نودي كل واحد فأُطلق عليه الرصاص، فقد وصلتنا بعض التفاصيل، فسوف أتناول ذكرهم بالتفصيل في الخطبة المقبلة، تغمَّدهم بواسع رحمته ورَفع درجاتهم جميعا. ادعوا لهم، فالإرهابيون الذين أتوا قد هددوا أن الأحمديين إذا فتحوا المسجد فسوف يعاودون الكرة، حفظ الله الأحمديين هناك من شر هؤلاء، على كل حال سوف أذكرهم بالتفصيل في الأسبوع المقبل إن شاء الله.)

إإاب

الإسلام دين الأنبياء جميعا

مصر

حلمي مرمر

نقطة البداية.. الحب!

إن الله على عظمته واستحالة الإحاطة به واحد، والكون على اتساعه وهوله واحد، والكواكب والنجوم والمجرات وما فيها من عوالم فوق حد التصور كانت في الأصل رتقا واحدا، والكائنات الحية على تنوعها وانتشارها نشأت من خلية واحدة، وكل ذلك طال مهما طال إلا أنه يوما عائدٌ إلى الأصل الواحد الذي أنشأه، وكل هذه الموجودات لم توجد هكذا كما نعرفها الآن دفعة واحدة، وإنما طورها المطور الأعظم من حال البساطة واليسر إلى ما نراها عليه الآن من تعقيدٍ في تفاصيل مغرقة من الدقة والحبكة والخلق المتين، فكان هذا الإنسان الخصيم المبين الذي يجادل ربَّه ويعارضه ويتجرأ عليه بأفكاره ومنطقه نطفةً لا تراها العين المجردة، وكانت تلك الشجرة المترامية الأفرع والأغصان التي يأكل من ثمرها ويستظل بظلها الإنسان والحيوان والطير في الأصل بذرةً حقيرةً مجَّها فم صبيٍّ يلهو، وقِسْ على ذلك ما شئت مما تراه عيناك أو تسمع به أذناك أو يلوح في خيالك، كل ذلك هو في أصله خلية واحدة مغمورة في رتق واحد فَتَقَهُ صانع واحد فكان سماوات وأرضا وبحارا مالحة وعذبة وأرضا خصبةً وكائناتٍ عاقلةً وغير عاقلة، ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾[1] يخدم بعضها بعضا من حيث شعرت أو لم تشعر، لتتحقق مشيئة ذلك الحكيم الواحد، كل ذلك

ألا ترى أن من يحب؛ يحب أن يتشبه بمن يحب؟ ويطبق الأنبياء ذلك على أنفسهم أولا، فيكونون أول من يحب وأول من يتشبه بالمحبوب، ويلزموا أنفسهم أن يكونوا أول المأمورين وأول المنهيين، قبل أن يأمروا قومهم وينهوهم.

كل شيء يبدأ صغيرا، ثم يكبر، ..... إلا أن حقيقته الكاملة لا تتضح جلية إلا عند بلوغه حد التمام..

ليهيئ الأرض للإنسان الذي خلقه على صورته ومثاله، ليكون صالحا كما أن خالقه صالح، ويكون محسنا رحيما كما أن خالقه محسن رحيم، ولأنه يعلم أنه غيب الغيب ووراء الوراء، ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢]، ولأنه تعالى خبير بقدرة الإنسان المحدودة وعجزه عن الوصول إليه تعالى بمحض تلك القوى المحدودة، أرسل له من بني جنسه من حازوا أعلى المراتب في معرفة الله وقربه ﴿...نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾[٣] ، فليس الناس جميعا سواسية، منهم من تأخذهم هممهم إلى ما تكلُّ عنه همم غيرهم، فيختار منهم أصحاب حب شديد له، وأنفسا تواقة إليه، وبحثوا عنه حتى كادوا أن يقتلوا أنفسهم في سبيله، ففتح لهم طاقةً من رحمته، وأراهم جانبا منه، فذابوا فيه عشقا، وأعلنوا له أنهم طوع أمره، وملك يمينه، وأن إراداتهم ذابت في إرادته، وانخلعوا من أنفسهم، وكأنهم أصبحوا جوارحه، يستعملهم فيما يحب، فجعلهم أنبياء، يرسلهم إلى الخلق ليبلغوهم رسالاته، وما يأمرهم به وما ينهاهم عنه، حتى يكون كل واحد منهم صورة من ربه قدر ما يطيق، فإن فعل برهن أنه عرفه وأحبه وأطاعه حبا فيه، ألا ترى أن من يحب؛ يحب أن يتشبه بمن يحب؟ ويطبق الأنبياء ذلك على أنفسهم أولا، فيكونون أول من يحب وأول من يتشبه بالمحبوب، ويلزموا أنفسهم أن يكونوا أول المأمورين وأول المنهيين، قبل أن يأمروا قومهم وينهوهم.

كل شيء يبدأ صغيرا، ثم يكبر، بسيطا، ثم يصير أكثر تركيبا وتعقيدا حتى يصل إلى تمامه وكماله، صحيح أن كينونته واحدة سواء كان صغيرا أو كبيرا، إلا أن حقيقته الكاملة لا تتضح جلية إلا عند بلوغه حد التمام، الشجرة مثلا لا تكون شجرة إلا إذا كانت لها معالم معروفة، أما وهي بذرة فلا يكون أحد على علم أنها ستصبح شجرة بالفعل، فربما يسحقها خُفّ جمل وهي لا تزال بذرة، أو تلوكها عنزة وهي بُرعُم صغير، النبيّ كذلك لا يسمَّى بين الناس نبيا وهو نطفةٌ أو جنينٌ أو طفل يلعب بين أترابه، وإنما يكون نبيا عندما يُطوى له حجاب الزمان والمكان، ويُدلي بأنباء الماضي والحاضر والمستقبل وتكون أنباؤه صادقة تؤيدها السماء، حتى وهو نبي فإنه يترقى من

حال إلى حال، فيصل إلى أعلى مراتب نبوته في نهاياتها، فمحمدٌ ﷺ لم ينزل عليه قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.﴾[٤] إلا في العام الخامس للهجرة، وما معنى خاتم النبيين؟ إنه أكملهم وأعظمهم وحامل الشريعة الكاملة الأخيرة التي أوتي كلٌ منهم جانبا منها على قدر حاجة قومه وعلى قدر طاقاتهم، فإن الأفهام لم تكن جاهزةً للإدراك الكامل والعمل الكامل، بل كانت قاصرةً محدودة، وكانت القدرة على التضحيات الكبيرة منعدمة، ولا يكلف الله نبفسا إلا وسعها، وعلى قدر ما آتاها من فهم وطاقة، فلم تكن البشرية على أيامهم كما كانت على أيامه ﷺ، وكأنها كانت على أيام آدم في طفولة، ثم ترقّت شيئا فشيئا فصارت في غلمة، ثم في شباب، ثم في رجولة، فكان محمدٌ ﷺوكان زمانه وكان عصر نبوته، فقد أصبحت البشرية جاهزة لتلقي التعاليم الكاملة التي لا يقدر على القيام بها إلا الرجال، ولم تكن التعاليم السابقة عليه إلا تعاليم مرحلية بسيطة تناسب التطور البشري المرحلي البسيط، ومن هنا كان التدرج في التشريعات من البسيط إلى المتوسط إلى المركب الفلسفيّ العالي، والذي لا تدركه إلا الأفهام العالية، والمدارك الرفيعة، وينازع أعتى المفكرين والفلاسفة، فيصارعهم ويصرعهم، ويثبت لهم علوّ كعبه عليهم، وأنهم مهما حاولوا مجاراته ومباراته ما استطاعوا، بل وانهزموا شر هزيمة، ويخرج بعضهم معترفا أن التعاليم التي أتى بها محمد لقادرة على حل كل مشكلات العالم أجمع في جلسة واحدة، وأنه بذلك يستحق أن يكون المصلح الأعظم، ذلك لأنه التشريع الأخير الذي لا تشريع بعده، فكان خاليا من الضعف والقصور والخلل، مزودا باحتياجات البشرية جميعا على اختلاف أزمانهم وأماكنهم وثقافاتهم.

حقا.. ما فرطنا في الكتاب من شيء!

كل التعاليم التي جاء بها المرسلون من آدم حتى محمدٍ صلى الله عليهم جميعا وسلم؛ مع اختلافها وتنوعها وتباينها يصح أن تنتظم جميعا في سلك واحد، هو الإسلام، ولا نقصد بالإسلام هنا ذلك العَلم الذي يطلق على فئة من المتدينين أتباع النبي محمد ﷺ بل الإسلام بمعنى التسليم، والمقصود أن متبع المرسَل الإلهي كان من كان إن اتبعه بصدق وإخلاص كاملين فهو مسلم، بمعنى أنه أسلم نفسه لمن بعث هذا النبي، وسلّم بصحة ما جاء به من تعاليم والتزمها غاية الالتزام موقنا بمصدرها الإلهي، ونفذها بقدر ما يطيق وانسحب من كل إرادة وأنانية، وأصبح وكأنه جارحةٌ من جوارح الله ينفذ به ما يشاء من مشيئاته؛ فهو المسلم الذي يريده الله من وراء خلق هذا الكون بما فيه، وهو الغاية من بعث المبعوثين وإنزال الشرائع والتعاليم، ومن هنا كان كل نبي مرسلا بالإسلام، وقد صرحوا هم أنفسهم بذلك مراتٍ ومرات، وقد سجل القرآن الكريم تصريحاتهم تلك، ومنها ما جاء أمرا لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أن يُسلم، فما كان منه إلا أن أسلم لرب العالمين، ولم يكن المقصود أن يدين بشريعة الإسلام الذي نزل على محمد ﷺ، بل المقصود أن الله سيجعله إماما لقومه، وعليه أن يكون على استعداد تام بالتسليم الكامل، وإلا لن يُفلح في مهمته لعِظمها، ولن يُفلح في تضحياته لجسامتها، وقد بيَّن الله له ذلك عندما أمره أن يُسلِم، وقد فهم إبراهيم المراد، وما كان له أن يتردد في التسليم والقبول، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.﴾[٥]، كذلك وصى يعقوب بنيه بالإسلام لله،

كل التعاليم التي جاء بها المرسلون من آدم حتى محمدٍ صلى الله عليهم جميعا وسلم؛ مع اختلافها وتنوعها وتباينها يصح أن تنتظم جميعا في سلك واحد، هو الإسلام، ولا نقصد بالإسلام هنا ذلك العَلم الذي يطلق على فئة من المتدينين أتباع النبي محمد ﷺ بل الإسلام بمعنى التسليم، ..... والمسلم الحق من انسحب من كل إرادة وأنانية، وأصبح وكأنه جارحةٌ من جوارح الله ينفذ به ما يشاء من مشيئاته؛ فهو المسلم الذي يريده الله من وراء خلق هذا الكون...

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.﴾[٦] فهذه الوصية كانت ضرورية ليعقوب لأن أولاده كانوا قد تعثروا من قبل، والآباء يهتمون بأولادهم إذا تعثروا من قبل فينصحونهم قبل الوفاة، لذلك كان هذا الأمر منطقيا وفطريا لا يُنكر.[٧]

ومن هذا المنطلق قال كل نبي من الأنبياء السابقين عن نفسه أنه مسلم، ودعا أتباعه أن يكونوا مسلمين، لا يريدون أنهم من أتباع خاتم النبيين محمد ﷺ كما يقول بعض غير المتحققين، بل يعلنون أنهم في غاية التسليم والانقياد لأوامر الله مهما خالفت هوى أنفسهم؛ ولن تخالفه، لانسجام إراداتهم مع إرادة الله انسجاما كاملا، وكذلك يأمرون أتباعهم أن يكونوا كذلك إن أرادوا أن يفوزوا ذلك الفوز العظيم، وعلى هذا المعنى جاء على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.﴾[٨]، وعلى لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ.﴾[٩]، أي إن كنتم منقادين له حق الانقياد ومسلّمين غاية التسليم وقد انسلختم من هوى أنفسكم فلم تكن لكم إرادة بعد إرادته.

إسلام الوجه للمنعم، لا للنعمة!

طالما سمعنا بقصة ملكة سبأ إذ شاهدت الآيات البينات على ثبوت الألوهية لخالق الشمس وسائر الموجودات من خلال الصرح الممرد من قوارير، ذلك الذي حسبته لقِصر نظرها لُجةً وكشفت عن ساقيها، فسجَّل القرآن ما قالته بلسانها: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.﴾[١٠]، وقد أدركت أنها حين كانت تُسلم وجهها للشمس كانت تعبد ربًّا زائفا، وأن للعالمين ربًّا حقيقيا يحفظ ويرعى ويهيمن، لكنه خفيٌّ خلف الأسباب، ذلك لأنها قد رأت الماء ولم ترَ

الزجاج الذي أظهره، فأدركت بفطنتها خطأها، عندما كلّ فهمها عن إدراك خالق الشمس، فعبدتها من دونه.

لطيفة بلاغية في معنى إسلام الأنبياء

ويمكننا أن نقول أيضا أن كل المرسلين جاؤوا بالإسلام بمعنى أن كل واحد منهم قد أرسله الله بتعاليم من شأنها أن تجعل أتباعه يخشعون لله ويطيعونه حتى يصلوا إلى درجة التسليم الكامل، وهنا يصيرون مسلمين، وأن ما جاء به كل واحد من هؤلاء المرسلين كان نقطة من بحر دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ بصورته الكاملة عندما أصبحت البشرية جاهزة لتلقي هذه التعاليم الثقيلة: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا.﴾[١١]، ولأن كل واحدٍ من هؤلاء المرسلين قد أتى بجانب ولو بسيط من الإسلام على قدر طاقة قومه فصح أن نقول أنه مسلم، وأن أتباعه مسلمون، من باب إطلاق معنى الكل على الجزء، كإطلاق الإصبع على الأنملة، كما في قوله تعالى: ﴿...جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...﴾[١٢]، فظل كل نبيّ يزرع في الضمائر البشرية جزءا من دين الإسلام تتوارثه أجيالٌ من أجيال حتى أصبحت البشرية مهيأةً لقبول الكل الكامل في زمن محمد ﷺ، لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[١٣]، بمعنى أن كل ما جاء به الأنبياء من وصايا وشرائع دين واحد في الحقيقة، وهو دين الإسلام، ولم يُسمّ الله ما جاء به كل نبي دينا، ولم يسمّ كتبهم أيضا، وحول هذا المعنى يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: «فإن من سنة الله تعالى أنه لا يهب لشيء اسما إذا كان من المقدر أن يُمحى هذا الاسم. ولما كانت أمة المصطفى ﷺ قدّر لها أن تبقى ليوم القيامة لذلك سماها الله أمة مسلمة. كذلك أطلق الله على تعاليم المصطفى اسما وهو القرآن، أما الكتب السماوية مثل التوراة والإنجيل وغيرهما فلم يسمّها الله باسم من عنده، وإنما هي أسماء من وضع الناس. نعم، لقد ذكرها الله بنفس هذه الأسماء في القرآن، ولكن لا حجة في ذلك على أن التسمية من الله. فمثلا ذكر القرآن اسم الصحابي «زيد»، وهذا لا يعني أن الله سماه زيدا عند مولده، وإنما سماه بهذا الاسم أبواه، وذكره الله بنفس هذا الاسم لأنه كان معروفا به»[١٤]، ومن جانب آخر فالديانات الصحيحة كلها كانت حقًّا إسلامًا بشكل أو بآخر، والمستمسكون بتلك الديانات كانوا مسلمين بالمعنى الحرفي للكلمة؛ ولكن عندما اكتمل الدين من كل جوانبه لم تعد تلك الديانات تُدعى إسلامًا، ذلك الاسم الذي اختصّت به الديانة الكاملة التي جاء بها القرآن المجيد»[١٥]. ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «الإسلام دين الأنبياء جميعا، ونحن معشر الأنبياء ديننا واحد، الأنبياء جميعا إخوة لعَلات»[١٦]، والمعنى أن الدين كله واحد وهو الإسلام، وأن غاية الأنبياء جميعا واحدة وهي التسليم الكامل لله، وأن أصول التشريعات يتفق عليها كل الأنبياء وإن اختلفوا في بعض الفروع الوقتية التي تخص زمان كل واحد ومكان بعثته، ويؤيد هذا المعنى حديث: «مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ

إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[١٧]، لذلك فلم يكن لأي دين شعار كشعار دين الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله. هذه الشهادة ليست لأحد إلا لمحمد ﷺ، فلم يكن مطلوبا من اليهودي مثلا ليكون يهوديا أن يقول: لا إله إلا الله موسى رسول الله، لأنه لم يكن مقدّرا لما جاء به موسى ولا غيره أن يبقى للأبد، مما يدل على أن الأديان كلها كان كل منها جزءا يسيرا من الإسلام، ولم تكن الشهادة الكاملة إلا للنبي الكامل الذي يحوز كمالات الدين كله، فصح له أن يسمَّى ما جاء به دينا، وذلك ما لم يصح لأيٍّ ممن كانوا قبله، لذلك قال تعالى ردا على اليهود والنصارى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.﴾[١٨]، بمعنى أنه لم يكن هناك دين يسمى اليهودية ولا النصرانية، ولكن الدين كله واحد وهو دين الإسلام.

الهوامش:

١ – (الأنبياء: ٣١)
٢ – (الأنعام: ١٠٤)
٣ – (الزخرف:٣٣)
٤ – (الأحزاب: ٤١)
٥ – (البقرة: ١٣٢)
٦ – (البقرة: ١٣٤)
٧ – مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، تفسير سورة البقرة، الآية ١٣٤
٨ – (يونس ٧٣)
٩ – (يونس ٨٥)
١٠ – (النمل ٤٥)
١١ – (المزمل ٦)
١٢ – (نوح ٨)
١٣ – (آل عمران ٢٠)
١٤ – مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، سورة البقرة، الآية ١٣٤
١٥ – مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الوسيط، تفسير سورة آل عمران، الآية ١٩
١٦ – صحيح البخاري، رقم ٣٤٤٢
١٧ – صحيح البخاري، كتاب المناقب
١٨ – (آل عمران ٦٨)

وحي تلقاه حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام

المرأة.. من خيط المغزل إلى بناء الوعي

سوريا
ضحى أحمد

لم يكن دورُ المرأة يومًا ثانويًا في مسيرة البشرية، بل هي القوة المحركة التي تمنح الأماكنَ روحها والحياةَ معناها. عطاؤها لا محدود؛ لأنه يتدفّق من نبع الفطرة، وإبداعها استثنائي؛ لأنه نابع من امتزاج العقل بالعاطفة، فتراها تصنع المعجزات، وتنشئ صنّاعَ الحضارات.

رحلة الكفاح عبر التّاريخ

لم تكن المرأة يوماً حبيسةَ الجدران إلا في فترات الانكماش الفكري؛ فالتاريخ يشهد أنها كانت صانعة للحضارة جنباً إلى جنب مع الرجل:

ففي فجر الإسلام سجلت الصّحابيات مواقف خالدة، فكانت نسيبة بنت كعب تذودُ عن النبي ﷺ في الغزوات، وكانت رفيدة الأسلمية رائدة الطب الميداني، تداوي الجرحى وتنظم الخيام كعيادات ميدانية.

وفي الأرض كدحت المرأة وساهمت في شؤون الزراعة، تزرع وتحصد، وتسهم في توفير لقمة العيش لعائلتها بثبات وصبر.

وفي رحاب العلم لم يُغلق باب المعرفة أمامها، فكانت الفقيهة والمحدِّثة، والمؤثرة في صياغة الوعي الجمعي.

إن التاريخ الإنساني والروحي مدين في جوهره لعظيمات صنعن بوعيهن وقوة بصيرتهن قامات اهتزت لها الدنيا؛ فخلف كل فكر مستنير قلب امرأة كان هو المحرك والموجه.

أمهاتٌ صنعن أئمة

تتجلى صورةُ المرأة الصبورة المضحية في والدة الإمام أحمد

وفي الأرض كدحت المرأة وساهمت في شؤون الزراعة، تزرع وتحصد،
وتسهم في توفير لقمة العيش لعائلتها بثبات وصبر.
وفي رحاب العلم لم يُغلق باب المعرفة أمامها، فكانت الفقيهة والمحدِّثة،
والمؤثرة في صياغة الوعي الجمعي.

بن حنبل، تلك الأرملة التي لم يقعدها فقدان الزوج عن دعم ابنها. فقد نذرت نفسها لتربية طفلها اليتيم، وكانت توقظه في جوف الليل البارد قبل صلاة الفجر، ثم ترافقه إلى المسجد خوفاً عليه من الطريق، حتى قالت له يوماً: «يا بني، اذهب واطلب الحديث، فإني سأكفيك بمغزلي»، فكان خيطُ مغزلها هو الذي أمدَّ الأمة بإمام أهل السنة والجماعة، ولولا بصيرةُ هذه المرأة وفراستها لما عرف التاريخ أحمد بن حنبل.

أثر المرأة في التكوين الروحي

وفي فلك العرفان، لا يمكن إغفال أثر المرأة في تكوين شخصية الإمام محيي الدين بن عربي، الذي تتلمذ على يد نساءٍ عظيمات، أبرزهنَّ «فاطمة بنت ابن المثنى» في قرطبة؛ تلك المعلمة والملهمة التي كان يسميها «أمه الثانية». فقد تعلّم منها الزهد والاتصال بالله، وقد وصفها بأنها كانت من أهل «الكشف»، وصاغت وعيَه الأخلاقي وفهمه للجمال الإلهي، مما يبرهن أن المرأة لم تكن مجرد تابع، بل كانت أستاذةً ومربّيةً لكبار الفلاسفة.

رائدة التعليم في مدرسة التصوف

أما رابعة العدوية، فقد كانت مدرسةً قائمةً بذاتها، لم تكن مجرد عابدة، بل كانت لا تقلُّ شأنًا فكرياً وروحياً عن كبار الزهاد كالحسن البصري، الذي كان يقصدها وجماعةٌ من الزهاد ليقتبسوا من نور حكمتها. لقد حوَّلت رابعة علاقة العبد بربه من الخوف إلى الحب الخالص، وأثبتت أن المرأة قادرة على قيادة المجتمع نحو مدارج السمو الروحي، فكانت كلماتها هي الدواء الذي يزيل غشاوة الغفلة عن القلوب.

إن هذا الإرث العظيم يؤكد أننا لسنا بحاجة إلى استراد مفهوم «تمكين المرأة» فجذوره ضاربة منذ البداية في أعماق تاريخنا الإسلامي، وما شخصيات «رفيدة» و«فاطمة بنت ابن المثنى» وغيرهما إلا تذكيرٌ لنا بأن ريادة المرأة في حضارتنا لم تتوقف يوماً، وإن واجهت في العصر الحديث تحديات جديدة.

المرأة المسلمة بين مطرقة المادية وسندان التقاليد

ووصولاً إلى زمننا هذا، وفي ظل النظام الرأسمالي الحديث الذي سبّب رفع تكاليف الحياة، لم يَعُد خروج المرأة للعمل ترفاً أو مزاحمة، بل تقدمت كفارس نبيل لتعيل عائلتها وتضمن لأبنائها مستقبلاً كريماً.

إن هذا الدور للمرأة الواعية ليس خروجاً للاستعراض أو الطمع، بل هو موازنة ذكية لمركب العائلة وحمايته من الغرق وسط ارتفاع الأمواج المادية العالمية. لقد تمثلت هذه المرأة

قول الله تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [1]

وأدركت مسؤوليتها أمام حديث النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع... وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه». [2]

لقد تحلّت عبقرية الإسلام في مواكبته للتحديات في كل زمان، وصياغته لشخصية المرأة؛ فمنحها من الآليات ما يجعلها شريكاً فاعلاً في صياغة حضارة العصر دون ذوبان أو اغتراب. وها هي المرأة المسلمة اليوم بوقارها الفطري ورقيّها الأخلاقي، ترسم نموذجاً فريداً في التوازن؛ فهي في الميدان طبيبةٌ ومربيةٌ ورائدةٌ اجتماعية دون أن يغيب عن ذهنها هدفُها السامي في حماية مملكتها الخاصة. ولا يمكن للمجتمع الاستغناء عن دورها المميز في الطب النسائي، والتعليم، والخدمة الاجتماعية، والكثير من المجالات والاختصاصات فهي مهن يكتمل بها دينها وعقلها المنظم.

تعدد الأدوار والرسالة واحدة

لا تفضيل لامرأة عاملة على امرأة مدبرة لمنزلها، فكلتاهما تؤدي دوراً محورياً بحسب الحاجة. ومع ذلك، نجد أن المرأة العاملة تتحمل ضغوطاً مضاعفة تضحيةً منها في سبيل كسب رضا الله وثبات عائلتها، كما أنها تكتسب انفتاحاً ذهنياً يجعلها أكثر قدرة على فهم تحديات العصر التي يواجهها أبناؤها، وإدارة أزمات الأسرة بحكمة اجتماعية مكتسبة.

أما المرأة داخل بيتها، فهي تدير أخطر وأهم «وزارة في العالم وزارة بناء الإنسان»؛ فمِن تحت يديها تخرج اللبنات الصالحة التي يرتكز أمل الأوطان عليها.

البيت جنة الأرض

البيت الذي يمثل «جنة على الأرض» ليس هو البيت الفاخر، بل هو الذي يقوم على التكامل لا التنافس. العلاقة الصحيحة هي التي يحترم فيها الرجل كدح المرأة داخل البيت وخارجه، وتقدر فيها المرأة قوامة الرجل التي هي «رعاية واحتواء» وليست «سيطرة وإقصاء».

التكامل الذي يُزهر الحياة

تحية حب وتقدير لكل امرأة تضحي براحتها لأجل عائلتها، وتثبت يومياً أن «الوقار» لا يتناقض مع «الإنجاز»، وأنها لا تتأثر بصيحات الحرية الكاذبة ولا تحيد عن حبل الله عز وجل. وتحية لكل زوج يمنح زوجته الثقة والتشجيع لتتقدم علميًّا وفكريًّا، ويكون لها اليد المعينة ليحيطا أولادهما برعاية وأمان، ويصلا بهم إلى مصاف الإبداع.

ولنتذكر دائماً أن التكامل بين الجنسين هو سر التّحليق، وبدونه نصبح كطائر بجناح واحد.

الهوامش:

١. (الطلاق: ٧)

٢. (سنن الدارمي، كتاب المقدمة)

مرآة حب الرسول

ﷺ

نظم الداعية: داوود أحمد عابد

يا لـــيتَ هذا الكونَ أبصرَ نُورَه

ببصـــــيرة الموعـــود للأزمـــانِ

يا ليـــــــت أبصره بعـــين مُحبِّه

ذاك الغلام العاشـــق الولـــهان

ذاكَ الذي فاضـــــتْ محبّتُهُ لهُ

حتى غدا في الذِّكرِ كالنَّشـــوانِ

قدْ كانَ في حُـــبِّ النَّبِيِّ كَمَنْ فَنَى

ما كانَ يَحيـــا غيرَ ذاكَ الشانِ

لَو أَنَّ قَوْمِي يَنْظُرُونَ خِصَالَـــهُ

لَـــرَأوا جَمَالًا فـــاقَ كُلَّ بَيَـــانِ

ولأشـــرقت أرضٌ بِنـــــُورِ إِلَهِهَا

وتضوَّعت بالرَّوْحِ كُلُّ جَنـــــان

ولصارَ وجـــــــهُ محمَّـدٍ في أمّةٍ

كالغيثِ يُحيي ميّـــــتَ الوديانِ

فالـــيومَ للدُّنيا تجلّى وجـــــهُهُ

في وجْـهِ مَبْـــعَثِهِ الكريمِ الثّـانِي

ماذا على قـــومٍ تحرَّوا صـــدقه؟!

فَهْوَ الإمامُ وواهِبُ العِـــــرفان

أطفالنا قليلو الانتباه ومفرطو النشاط..
المشكلة والحل

الهند

د. ثمر حفيظ

هل يواجه طفلك صعوبة في التركيز عند تنظيم المهام أو الأنشطة؟ هل لاحظت أنه غير قادرٍ على الانتباه للتفاصيل الدقيقة؟ هل يفقد تركيزه أثناء إنجاز الواجبات أو أثناء المحادثات؟ هل يبدو قلقًا مفرط النشاط ومثيراً للاضطراب؟ إذا كانت الإجابة عن هذه الأسئلة بنعم، وتشعر بأنّ وتيرة حياته تتسارع يومًا بعد يوم، وأنّ إدارة الروتين اليومي باتت أكثر صعوبة، فمن الضروري استكشاف مؤشّرات اضطرابٍ يُعرف باسم اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط لديه، ويُعرف اختصارا بـ ADHD، بغية التعرّف على أعراضه في مرحلةٍ مبكرة والسعي نحو التدخّل العلاجي في الوقت المناسب.

وتهدف هذه المقالة إلى توعية القرّاء، لا سيما الآباء والمُعلّمين والمُربّين بطبيعة هذا الاضطراب من خلال عرض أنواعه، وأعراضه، وأسبابه، والعوامل المسبّبة له، إلى جانب سبل التدخّل والعلاج التي تساعد في التعامل معه والسيطرة على مظاهره السلوكية والنفسية.

وصف الحالة وتأثيرها بإيجاز

يُعدّ اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط من جملة الاضطرابات العصبية السلوكية، والذي تتسع دائرته لتشمل الأطفال والمراهقين والبالغين على حدّ سواء. كذلك تتسع دائرة المصابين به لتشمل الجنسين، ذكورا وإناثا، دون أية فروق بين المفحوصين طبقًا لمتغيّرَي النوع و العمر.[1]

ويتلخص تشخيص هذا الاضطراب في أنه نمطٌ مستمرٌّ من نقص الانتباه، أي ضعف القدرة على الحفاظ على

وتهدف هذه المقالة إلى توعية القرّاء، لا سيما الآباء والمُعلِّمين والمُربِّين بطبيعة هذا الاضطراب من خلال عرض أنواعه، وأعراضه، وأسبابه، والعوامل المسبّبة له، إلى جانب سبل التدخّل والعلاج التي تساعد في التعامل معه والسيطرة على مظاهره السلوكية والنفسية.

التركيز لفتراتٍ ممتدة، مع فرط النشاط، أي زيادة في الحركة والسلوك غير المناسب للموقف، وغالبا ما يكون مصحوبًا بالاندفاعية أي التصرّف بسرعةٍ دون تفكيرٍ كافٍ أو مبرّر منطقي.

وتؤثّر هذه الأنماط مجتمعةً في مختلف مجالات حياة المصاب بهذا الاضطراب، بما في ذلك الأداء الدراسي والمهني والاجتماعي وكذلك العلاقات الشخصية. ويُعتبر هذا الاضطراب أحد أكثر الاضطرابات العصبية السلوكية شيوعًا لدى الأطفال، وغالبًا ما تستمر أعراضه إلى مرحلة المراهقة والبلوغ.

يبدأ اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط في مرحلة الطفولة. ويُشترط أن تظهر أعراض الإصابة به قبل بلوغ الثانية عشرة من العمر، وأن تستمرّ لفترةٍ تزيد عن ستة أشهر، وأن تؤدّي إلى تدهورٍ واضح أو ضيقٍ نفسيٍّ ملحوظ في واحدٍ أو أكثر من مجالات الأداء، كالتحصيل الدراسي، أو الأداء المهني، أو المهارات والعلاقات الاجتماعية.

أطفالنا، الضحية الأولى!

من الطبيعي أن يُظهر الأطفال بين حينٍ وآخر بعض الصعوبة في التركيز أو في ضبط السلوك. غير أنّ الأطفال المصابين باضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط لا يستطيعون تجاوز هذه الصعوبات، إذ تستمر لديهم وتعرقل قدرتهم على أداء واجباتهم اليومية. وقد تقلّ حدة الأعراض مع التقدّم في العمر لدى بعض الأفراد، بينما تبقى شديدةً ومؤثّرة لدى آخرين، مسببةً مشاكل في المدرسة أو البيت أو العلاقات الاجتماعية. وتتفاوت أعراض الإصابة باضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط؛ فبعض الأطفال يُظهر نمطًا من قلة الانتباه فقط، بينما يُظهر آخرون فرط النشاط والاندفاع فقط، وقد يزداد الأمر حدة حين يجتمع النمطان معًا لدى فئةٍ ثالثة. ومن المهمّ التأكيد على أنّ هذه الأعراض لا تعود إلى ضعفٍ في القدرة على الفهم أو اللغة، ولا إلى العصيان المتعمّد.

تفصيل أنماط الإصابة الثلاثة

بناءً على الأعراض، يُقسَّم الاضطراب إلى ثلاثة أنماط أساسية، أولها النمط غير المنتبه. ويتّسم هذا النمط بعدة خصائص أهمها صعوبة التركيز على المهام التي تستغرق وقتًا طويلًا أو تتطلّب جهدًا ذهنيًا مستمرًا، بحيث تدفع المصاب بهذا الاضطراب إلى النفور من مثل هذه المهام، بل وتجنّبها تماما. كذلك يعد قِصَر مدى الانتباه مقارنةً بالعمر الزمني من الإشارات الدالة على هذا الاضطراب.

وبطيعة الحال فإن قصر مدى الانتباه يتبعه إهمال التفاصيل الدقيقة، وكذلك ارتكاب أخطاءٍ غير مقصودة في المدرسة أو المنزل نتيجة قلّة التركيز، وضعف القدرة على تنظيم المهام والجداول الزمنية، ونسيان أداء المهمّات اليومية، مثل الردّ على المكالمات أو سداد الفواتير أو الالتزام بالمواعيد (وخاصةً لدى المراهقين والبالغين)، وضعف المهارات الدراسية مقارنةً بالمستوى العمري.

وثاني أنماط الإصابة باضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط هو النمط مفرط النشاط، والاندفاعي غالبا، وهذا النمط تُلاحظ فيه المظاهر معينة دالة، مثل الحركة المفرطة والتململ المتكرّر، وصعوبة الجلوس لفتراتٍ طويلة، وكذلك الشعور الدائم بعدم الراحة، بشكل يحمل المصاب على الانخراط في سلوكياتٍ خطرة مثل القفز أو الركض في مواقف تتطلّب الهدوء. كل هذه المظاهر يمكن أن نميز بها المصاب بالنمط الثاني لهذا الاضطراب، فهو مثلا لا يكاد يصبر لينتظر في طابور طويل، ولا يكاد يصبر أثناء الحديث دون مقاطعة الآخرين، وأحيانا يتصف الأمر بسوء الأدب حين يقاطِع بإكمال جمل المتحدثين دون إذن.

أما النمط الثالث لاضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط، فهو الأخطر والأعقد، حيث إنه نمط مركّب، فهو يجمع بين النمطين السالفين، أي يجمع بين أعراض قلة الانتباه وأعراض فرط النشاط والاندفاعية.

ومن الطبيعي أن يُظهر الأطفال أحيانًا بعض السلوكيات الاندفاعية أو ضعف التركيز، غير أنّ الأطفال المصابين باضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط لا يتخلّصون من هذه السلوكيات مع مرور الوقت، بل تستمرّ لديهم وتزداد شدّتها، مسببةً صعوباتٍ كبيرة في الدراسة والعلاقات الاجتماعية والسلوك الأسري.

تشخيص اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط

يتمّ تشخيص اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط من خلال تقييم طبيّ ونفسيّ شامل يُستهدف به استبعاد الحالات الأخرى ذات الأعراض المشابهة. وتُجرى العملية التشخيصية عادةً عبر ثلاث مراحل، فأولا يجب تحديد أنماط السلوك المتعلقة بالانتباه والنشاط باستخدام مقاييس تقييم الاضطراب، والتشخيص السريري، والاستبيانات التي تُستكمل بواسطة أفراد الأسرة والمعلمين، مع التأكد من أن عمر المُشتبَه في إصابته لم يتجاوز الثانية عشرة بعد.

والمرحلة الثانية من مراحل تشخيص اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط تكون باستبعاد الاضطرابات النفسية الأخرى، كالاكتئاب والقلق بوصفها عوامل محتملة. فكثيرا ما يكون اندفاع الشخص أثناء الحديث نابعا من أسباب أخرى، كالخوف أو القلق مثلا، ولا يكون بسبب الإصابة

عند عدم معالجة اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط في الوقت المناسب، قد يعاني الفرد من مضاعفات خطيرة قد تصل إلى حد تدني تقدير الذات، وضعف الأداء الأكاديمي والمهني، وصعوبة في العلاقات الاجتماعية، وصولًا إلى المشكلات القانونية أو سوء استخدام المواد المخدرة والكحول. لهذا السبب، فإن التشخيص المبكر والتدخل العلاجي المتكامل هما أمران حاسمان للحدّ من التأثيرات السلبية لهذا الاضطراب وضمان حياة صحية وفعالة للفرد في المجتمع.

باضطراب ADHD.

أما المرحلة الثالثة من مراحل تشخيص اضطراب نقص الانتباه فتكون بالتحقّق من وجود اضطرابات مصاحبة، مثل اضطراب المعارضة والعصيان ODD، واضطرابات القلق والاكتئاب، واضطراب ما بعد الصدمة PTSD، واضطرابات النمو العصبي كالتوحّد وصعوبات التعلّم.

منشأ الاضطراب، والتفاعل المعقد بين البيولوجيا والبيئة

إن اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط هو اضطراب متعدد العوامل ناتج عن تداخل المكوّنات الوراثية والبيولوجية والبيئية.

فعلى الصعيد البيولوجي، قد تكون بيولوجيا الدماغ ووظائفه على رأس أسباب الإصابة باضطراب فرط الحركة مع تشتت الانتباه، حيث تشير دراسات التصوير العصبي، مثل الرنين المغناطيسي الوظيفي، إلى تقلُّص حجم المادة الرمادية والبيضاء في مناطق حيوية من الدماغ، كالقشرة الجبهية الأمامية والعقد القاعدية والمخيخ. هذه المناطق مسؤولة عن الوظائف التنفيذية التي تشمل التخطيط والتحكم، ووجود ضعف في الاتصال العصبي بينها مرتبط بمعالجة المعلومات واتخاذ القرار.

كذلك يندرج تحت الأسباب البيولوجية ضعف استقلاب النواقل العصبية، وهنا نشير إلى هرمون الدوبامين، والذي يُعدّ ناقلا عصبيا حاسما في التركيز والتحفيز، وغالبا ما يرتبط ضعف استقلابه في القشرة الجبهية الأمامية بأعراض ضعف الانتباه والاندفاعية.

أما على صعيد العوامل الوراثية والبيئية، فتشير البحوث إلى أن هذا الاضطراب عالي القابلية للوراثة، كما تسهم عوامل بيئية في رفع درجة الخطورة، منها: التعرض للكحول أو النيكوتين أثناء الحمل، أو التعرض لبعض المواد الكيميائية الضارة مثل البيسفينول، إلى جانب انخفاض الوزن عند الولادة، وهنا يشار إلى أنه ثمة ارتباط بين حالات المواليد الخُدَّج (الولادات المبكرة) ورصد الإصابة باضطراب فرط الحركة مع تشتت الانتباه، حيث لوحظ بطبيعة الحال انخفاض أوزان الأطفال الخُدَّج، أي أولئك المولودون قبل الشهر التاسع.

المضاعفات وضرورة التدخل المبكر

عند عدم معالجة اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط في الوقت المناسب، قد يعاني الفرد من مضاعفات خطيرة قد تصل إلى حد تدني تقدير الذات، وضعف الأداء الأكاديمي والمهني، وصعوبة في العلاقات الاجتماعية، وصولًا إلى المشكلات القانونية أو سوء استخدام المواد المخدرة والكحول. لهذا

السبب، فإن التشخيص المبكر والتدخل العلاجي المتكامل هما أمران حاسمان للحدّ من التأثيرات السلبية لهذا الاضطراب وضمان حياة صحية وفعالة للفرد في المجتمع.

إستراتيجيات متكاملة لإدارة الحالة والعلاج

تعتمد إدارة اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط على إستراتيجية متكاملة تشمل العلاج الدوائي والتدخلات السلوكية المعرفية التي تعزز مهارات التنظيم الذاتي والوظائف التنفيذية. ويُوصى ضمن هذه الإستراتيجية بالتركيز على التدريب الأسري، والذي يهدف إلى تعليم الوالدين كيفية استخدام الثناء والتعزيز الإيجابي لتشجيع السلوكيات المرغوبة، وتطبيق العواقب المنطقية عند عدم الامتثال، مما يؤدي إلى انخفاض الاندفاعية والجدال.

كذلك تشمل إستراتيجية التعامل مع اضطراب ADHD تنمية مهارات التنظيم الذاتي وبناء الروتين وإدارة الوقت، وذلك باستخدام قوائم زمنية ومخططات تنظيمية وجداول مكافآت لدعم الذاكرة العاملة ومساعدة الأطفال على إنجاز المهام خلال وقت محدد. وهناك تقنيات ناجحة بهذا الخصوص، مثل تقنية بومودورو Pomodoro Technique كما تُعدُّ تقنية تقسيم الوقت إلى فترات فعالة في إدارة الأعراض. كما أن تقنية تقسيم المهام لتجزئة المهام الكبيرة إلى أنشطة صغيرة محددة بزمن، واستخدام بيئات خالية من المشتتات للحدّ من تشويش وسائل التواصل الاجتماعي، أمور ضرورية.

العلاج السلوكي المعرفي (CBT): يعتمد على إعادة الهيكلة المعرفية لتحديد أنماط التفكير السلبية واستبدالها بأفكار أكثر واقعية واتزانًا. ومن الاستراتيجيات المهمة هنا منهج «توقّف، فكّر، ثمّ تصرّف» (STOP. THINK. ACT) للتحكم في الاندفاعية.

وهنا ينبغي تسليط الضوء على إشكالية الذاكرة العاملة لدى الأطفال المصابين باضطراب ADHD، وذلك نظرا إلى أهميتها في أدائهم الدراسي، فمعرفة وتقييم خصائص تلك الذاكرة لديهم سيمكِّن من فهم طبيعة اشتغال هذه الوظيفة في حال الإصابة بهذا الاضطراب.[٢]

العقل السليم في الجسم السليم

من المهم هنا الإشارة إلى أن عامل جودة النوم من أبرز عوامل تحييد خطر الإصابة باضطراب ADHD، حيث إن الحصول على سبع ساعات من النوم المتواصل ضروري لإدارة الأعراض، إذ إن اضطرابات النوم تفاقم ضعف الانتباه.

كذلك فإن النشاط البدني من أبرز عوامل ومظاهر الصحة الجسدية، والتي تنعكس إيجابا على الصحة العقلية بالضرورة، وتعد ممارسة الرياضة بانتظام، كالسباحة والجري والرياضات الأخرى، من أكثر الإستراتيجيات فاعلية في تعزيز التركيز والاستقرار الانفعالي.

ولا يسعنا إغفال دور التغذية الصحية، فاتباع نظام غذائي متوازن غني بالمغذيات من أكثر العوامل فاعلية بهذا الصدد، ومعلوم سلفًا كيف أن الممارسات الغذائية تؤثر إيجابا أو سلبا في الصحة النفسية والعقلية.

الهوامش:

١ – حمدي محمد ياسين، وسارة سيد زغلول عزام، الوظائف التنفيذية و الموهبة لدى الأطفال المصابين باضطراب نقص الانتباه و فرط الحركة، مجلة كلية التربية فى العلوم النفسية، ج١، عدد ٤٨، يناير ٢٠٢٤، ص٦٩–١٢٠، كلية التربية، جامعة عين شمس.

٢ – إدرسي جناتي أمين، دور الذاكرة العاملة في الأداء المدرسي عند أطفال نقص الانتباه / فرط الحركة ...، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ٢٠٢٤

التسامح أساس قيام المجتمعات

تأصيلا لقيمة التسامح

التسامح من الخصال الجميلة والسمات الجليلة فقد أمر الله ﷻ به إذ قال: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ.﴾[1]، كما قرر الله ﷻ في سننه سلفا أن ينشأ المجتمع الإنساني من حال التقارب والتآلف بين أفراده، وذلك على مدى رحلة طويلة أخذ يتخلى فيها أولئك البشر الهمج عن وحشيتهم شيئا فشيئا، ليحل محلها خلق التسامح والعطف، لتتشكل أول صور المجتمعات الإنسانية البدائية، وما كان هذا ليتم لولا خُلُق العطف والتسامح، ولعلنا بهذا التصور ندرك شيئًا من دقائق قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ.﴾[2]، أي حال التعلق والتواصل الناشئ من علاقة الحب والألفة التي تنشأ في جو من السلام والوئام.

والتسامح صفة من صفات أولي العزم من الرسل، وخير أسوة لنا في تطبيق خلق التسامح بكافة مقتضياته، من عفو وعطف الفعال ومسالمة ولين، هو رسولنا الكريم ﷺ. فأخرج ابن أبي الدنيا عن الشعبي قال: «لما أنزل الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ.﴾ (الأعراف: ٢٠٠). قال رسول الله ﷺ: ما هذا يا جبريل؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالم، فذهب ثم رجع فقال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.»[3]

فقد أوصانا بإفشاء السلام ونشر التسامح والرحمة والمحبة. ولم يتوقف عند حد أمرنا بالبر وحسب، بل طبقه بنفسه ﷺ حين عفا عمن آذوه وقتلوا صحبه وذويه، وهو يومئذ القاضي عليهم كيف يشاء، إلا أنه قال مقولته المشهورة: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ.»[4]

تونس

مريم شرف الدين

قوى الشر والتمييز بين الناس على أسس باطلة

لقد استنكر سيدنا خاتم النبيين ﷺ كل صور ومظاهر العنصرية القومية واللونية وغيرها، ونظرًا إلى خطورة هذا الموضوع فقد تناوله ﷺ في خطبة الوداع موصيًا جميع الأمة بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى.»[٥]

وما من شك في أن قوى الشر تدرك تمام الإدراك أن قوة المجتمعات تقاس بقوة أواصر الحب والمودة بين أبنائها، وأن قوتها تكمن في تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد الذي إِذَا اشْتَكَى منه عُضْو تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى، لذا فإن قوى الشر تلك لا يهدأ لها بال ولا تهنأ لها حال إلا بإفساد العلاقات بين الأقارب والجيران، سواء كان هؤلاء الجيران أفرادًا أو دولاً، وكم من شعبين يعودان إلى قومية واحدة، ولكن حالت بين مواطنيهما حدود مكهربة وأسلاك شائكة وجدران عالية وجنود مدججة! ولننظر مليًّا إلى شعوب الأرض قاطبة، سنجد هنا وهناك أواصر القربى تنقطع، فمن الكوريتين إلى دول أفريقيا، يرى المرء المتأمل انقطاع الأواصر بوضوح، أمَّا عندنا في بلاد المسلمين عمومًا والعرب منهم خصوصًا فحدث ولا حرج، فأصابع الدجال تتحكم في الخيوط بمكر سيئ. الغريب في الأمر أننا ندرك هذه الحقيقة، وعلى الرغم من هذا ننصاع لتحقيق أمنية الدجال القبيحة بكل ما أوتينا من مقدرات. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما السِّر الخفي وراء سعي القوى الدجالية الدؤوب لقطع أواصر القربى والتفريق بين المرء وزوجه؟!

اختلافنا لحكمة

نعود فنؤكد أننا مخلوقون مختلفين بطبيعتنا، وليس من شأننا إلغاء ذلك الاختلاف بقدر ضرورة التعايش معه، حيث قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.﴾[٦] فليس الهدف من خلق الاختلاف إذكاء نار الفتن والتناحرات، إنما الهدف هو التكامل والتعايش البنَّاء، وهذا ما غاب عن تفكير مشعلي نار الفتن في كل العصور.

أنظمة التمييز العنصري وُجدت لتتمزق

إن مكمن خطورة دعاوى العنصرية أنها والوحدة لا تجتمعان، وحيثما وجدت إحداهما زالت الأخرى، وإذا كان الله تعالى قد أمرنا بالوحدة حفظًا للقوة وصيانة للأمة، فمن الطبيعي أن ينهانا صراحة وضمنا عن كل ممارسة عنصرية تفت في عضد وحدتنا وقوتنا، وهذا ما بينه الله ﷻ في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.﴾[٧]

الهوامش:

١. (الحجر: ٨٦)
٢. (العلق: ٣)
٣. مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا (رقم ٢٥)
٤. السيرة النبوية، ابن هشام (٢/ ٤١٢)
٥. (مسند أحمد, كتاب باقي مسند الأنصار)
٦. (هود: ١١٩-١٢٠)
٧. (الأَنْفال: ٤٧)

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 39- Issue 3, July 2026

www.altaqwa.net